

سـاندرا بيسيك

العريش:
العمارة بسعف النخيل

ترجمة
عمر سعيد الأيوبي



نبذة عن المؤلفة

استشارية متخصّصة في العمارة والتصميم والبحوث الثقافية. تعمل على نطاق واسع في دولة الإمارات العربية المتحدة في مشروعات ترمي إلى إعادة وصل الثقافة التاريخية لدولة الإمارات العربية المتحدة وتراثها بالبيئة المعاصرة، وتركّز تحديداً على استخدام أساليب البناء بسعف النخيل. وهي عضو المعهد الملكي للمعماريين البريطانيين.

نبذة عن المترجم:

عمر سعيد الأيوبي، مترجم ومحرّر. من ترجماته الصادرة عن كلمة: «فنّ الحدائق الإسلامية» (إيما كلارك)، و«النظم البريدية في العالم الإسلامي قبل العصر الحديث» (آدم سيلفرشتاين)، و«المرأة في حياة نابليون» (كريستوفر هيبرت)، و«الموت الأسود» (جوزيف بيرن).

العريش: العمارة بسعف النخيل

وفّرت العمارة التقليدية بسعف النخيل الملجأ من المناخ الشديد القسوة السائد في الإمارات وشبه الجزيرة العربية على مرّ القرون، وقدّمت أشكالاً متنوّعة من المباني التي تنمّ عن أصالة وإبداع وفهم عميق للبيئة وكيفية التعايش معها. لكن في غمرة التطوّر العمراني السريع الذي شهدته دولة الإمارات العربية المتحدة في العقود الأربعة الأخيرة وتنامي مدنها الحديثة بأبراجها الشاهقة والمباني التي تناطح السحاب ومراكز التسوّق الفريدة، انحسرت العمارة التقليدية بسعف النخيل وانحصرت في القرى التراثية أو تكاد.

يحتفي كتاب «العريش: العمارة بسعف النخيل» بهذه المباني المحلية الفريدة وطرق إنشائها وتنوّعها من منطقة إلى أخرى، ويقدّم عرضاً عاماً للعمارة بسعف النخيل، وتاريخها وتقاليدها.

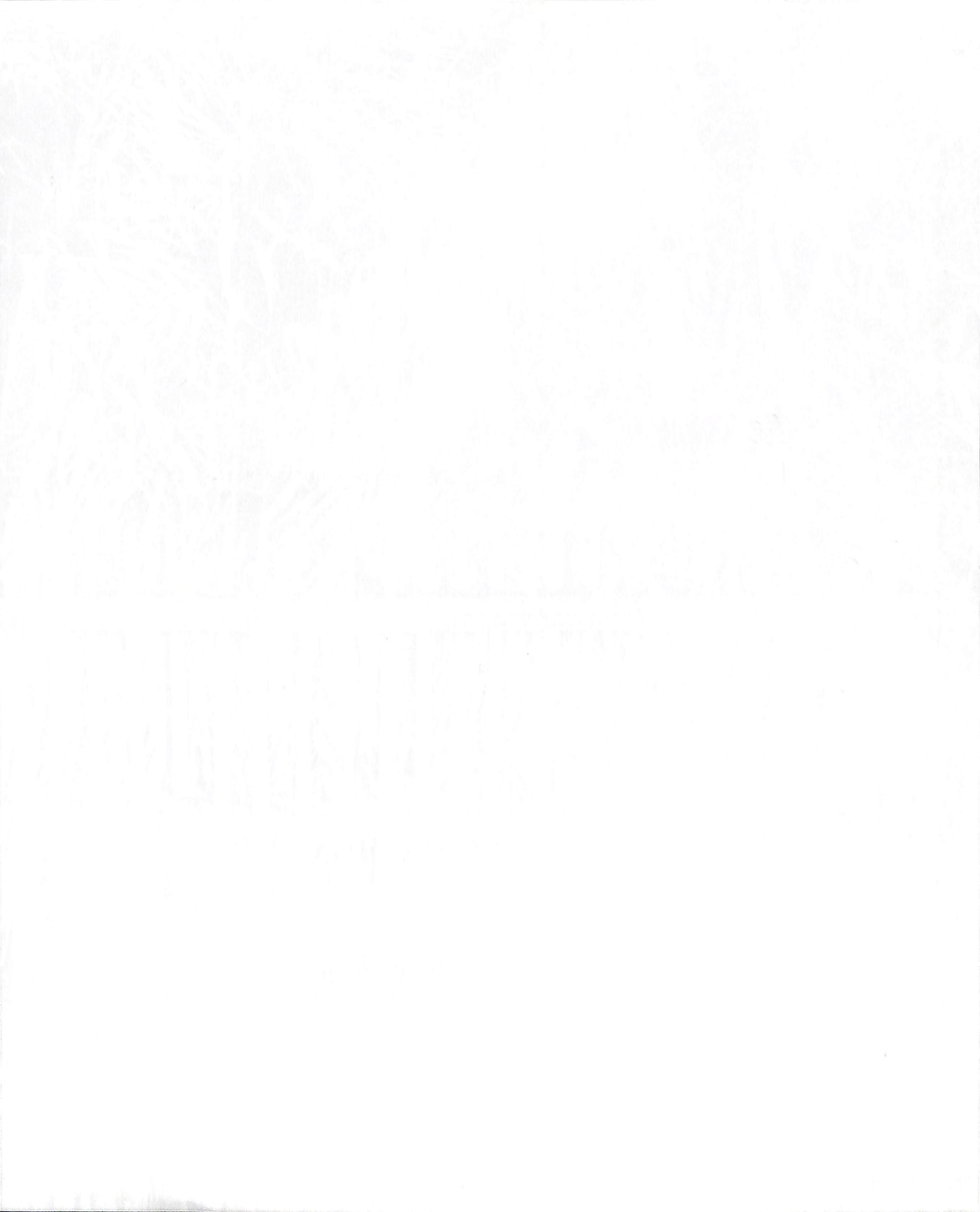
المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة
أطفال و ناشئة






9 789948 174837









ساندرا بيسيك

العريش:
العمارة بسعف النخيل

ترجمة: عمر سعيد الأيوبي





العريش:

العمارة بسعف النخيل



بيانات الفهرسة أثناء النشر

TH4818.P35 P5412 2015
Piesik, Sandra,
[Arish: Palm-Leaf Architecture]
العريش : العمارة بسعف النخيل / تأليف ساندرا بيسيك ؛ ترجمة عمر سعيد الأيوبي. ـ ط. 1.
ـ أبو ظبي : هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2015.
193 ص. ؛ 24 × 29 سم. – (سلسلة موسوعة تراث الإمارات).
ترجمة كتاب : Arish: Palm-Leaf Architecture
تدمك 7–483–17–9948–978
1ـ المساكن الشعبية– الإمارات العربية المتحدة. أ– أيوبي، عمر سعيد. ب– العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:

Sandra Piesik
Arish: Palm-Leaf Architecture
“Published by arrangement with Thames and Hudson Ltd, London
Manil Suri (Author)
› Visit Amazon›s Manil Suri Page
Find all the books, read about the author, and more.
See search results for this author
Are you an author? Learn about Author Central

This edition first published in the United Arab Emirates in 2015 by Kalima Project for Translation, National Library, Abu Dhabi Tourism and Culture Authority

كلمة
KALIMA

www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة
ABU DHABI TOURISM & CULTURE AUTHORITY

المحتويات



توطئة

يشغل تغيّر المناخ مكاناً بارزاً في جدول الاهتمامات، إذ يدرك الناس في جميع أنحاء العالم اليوم أهمية الاستدامة في البناء ومنافع الانسجام مع الطبيعة. ومن المثير للاهتمام أن العمارة بسعف النخيل، وهي منتشرة في جميع أنحاء الإمارات، برعت في هذين المفهومين منذ قرون وأحسنتهما.

ترتبط شجرة نخيل التمر ارتباطاً عميقاً بحضارتنا الإسلامية من خلال الدين، والثقافة، والزراعة. وقد استجاب شعبنا لتحدّيات المناخ المحلّي بتصميم مبانٍ بسيطة لكن متطوّرة ومنشآت ملحقة. واحتفت تصميماته أيضاً بالتقاليد الاجتماعية والثقافية للإمارات باستخدام ابتكارات تقنية ذكيّة ومواد في متناول الأيدي.

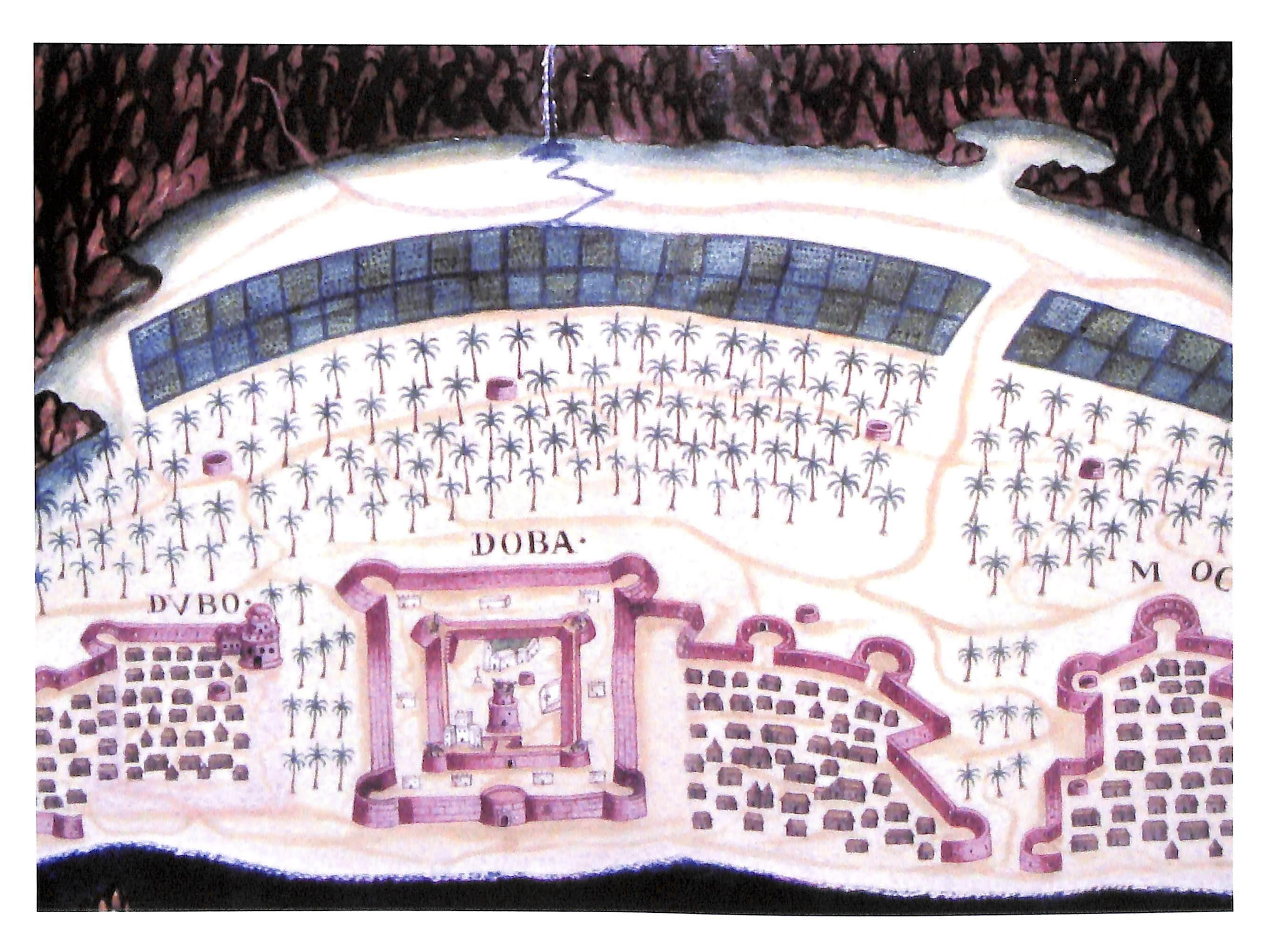
لا يشكّل كتاب «العريش: العمارة بسعف النخيل» مرجعاً ممتازاً للمعماريين والدارسين فحسب، وإنما يشرح ويوضح أيضاً أساليب البناء باستخدام سعف النخيل ومبادئها، وهي أساليب تتكيّف على نحوٍ فريدٍ مع مختلف الأماكن والمواد المتاحة في كلٍّ من الإمارات السبع في دولة الإمارات العربية المتحدة.

«العريش: العمارة بسعف النخيل» هو أول كتاب شامل مخصّص لتدوين المكانة الخاصّة التي تشغلها العمارة بسعف نخيل التمر في التراث الثقافي لدولة الإمارات العربية المتحدة.

جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر



واحة ليوا



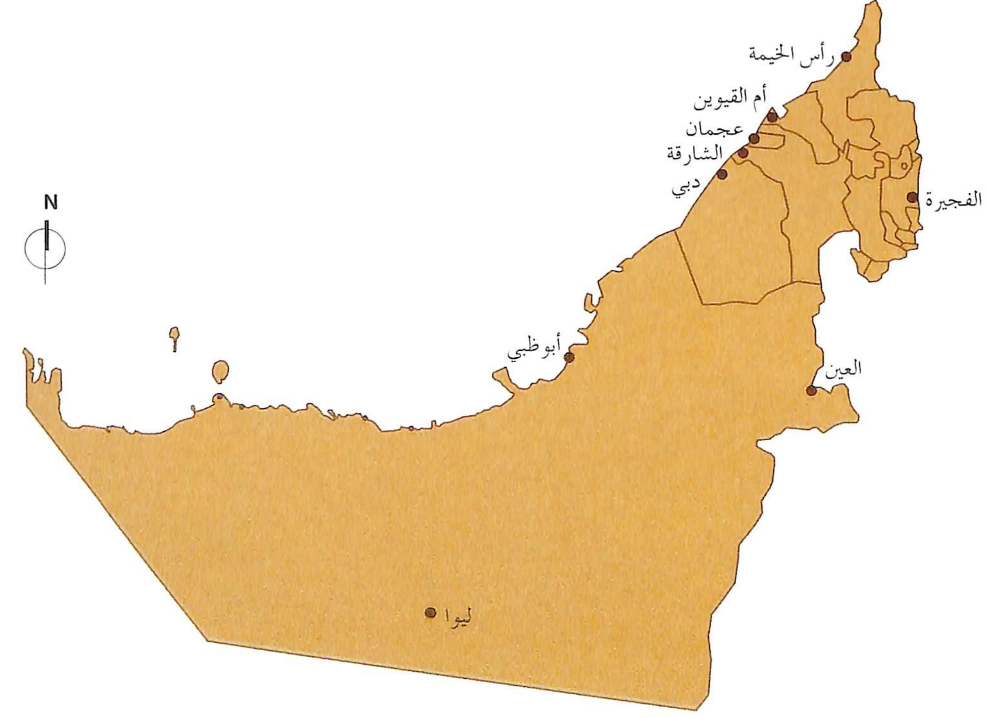
دبا، نحو سنة 1635. كانت دبا، بعد مسقط وصُحار، أكبر منشأة برتغالية على طول خليج عمان. كان يوجد حول الخليج ثلاث قرى، أهمّهما مكان محصّن في الوسط (دبا الحصن) قريب من حصن مزدوج السور يحيط بمساكن الخيم.

المقدّمة

تختفي الثقافات لأسباب لا نفهمها بسهولة، ربما لأن الجنس البشري شديد التنوّع، ولأن آليات الاقتصاد تختلف اختلافاً كبيراً من ثقافة إلى أخرى. وربما تبدأ عملية الاختفاء إذا انتزعت الثقافة من سياقها. يتكوّن السياق الأول لأي ثقافة من المناخ والأرض، والثاني من الاحتياجات الإنسانية الأساسية، مثل الملجأ والمأكل. ونحن في هذا العمل، ندرك ثقافة دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا السياق.

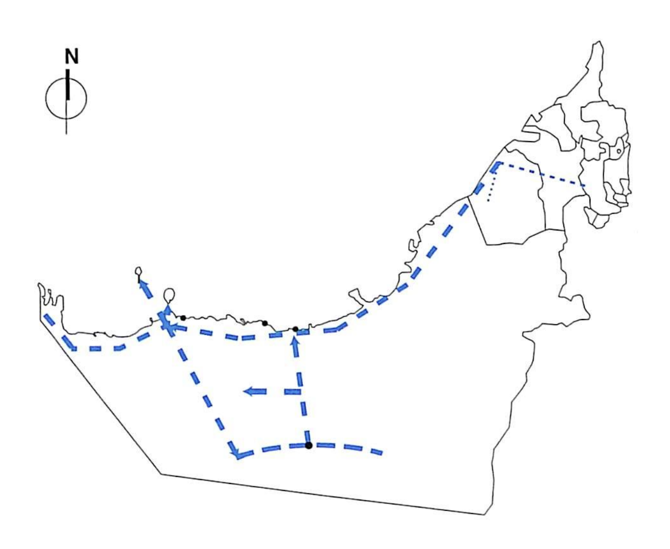
الذكاء الإنساني، وفقاً لنظريات التعريفات الثقافية في القرن الحادي والعشرين، متساوٍ في جميع المجتمعات، سواء أكانت أهلية أم حضرية. فلو عاش مصرفيّ من مدينة لندن في صحراء الربع الخالي، فإنه لن يأتي على الأرجح بأي أفكار للبقاء مختلفة عما جاء به أهل المنطقة. وقصّة العريش في الإمارات مثال ممتاز على الذكاء الإنساني الأمثل الذي يعبّر عنه الاستخدام الأفضل للمواد المستمدّة محلياً في بيئة قاسية.

خريطة بالقمر الاصطناعي لدولة الإمارات العربية المتحدة



[فوق] خريطة دولة الإمارات العربية المتحدة [1]

رحلات المؤلّفة في دولة الإمارات العربية المتحدة



الرحلة الأولى: إمارة أبوظبي

الرحلة الثانية: الإمارات الشرقية والشمالية

الرحلة الثالثة: إمارتا دبي والشارقة

يتميّز استخدام العريش في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة بثراء واتساع استثنائيين، لا سيما في أوساط البدو. غير أن مباني سعف النخيل تكاد تختفي اليوم تماماً، ويرجع ذلك إلى عوامل اقتصادية معقّدة ومستعصية في نهاية المطاف. ويهدف مشروع بحوث العريش إلى التقاط اللحظات الأخيرة لتراث العريش المادي قبل أن يصبح أثراً بعد عين. مع ذلك هناك أمل. هناك أشخاص أحياء تمثّل ذاكراتهم تراثاً غير مادي. ربما يوجد أمامنا عشر سنوات، أو عشرين سنة على الأكثر، لحفظ هذه الذاكرات في أرشيف للعريش، وبالتالي التقاط تراث أجيال من الهوية الثقافية لدولة الإمارات العربية المتحدة والإحاطة به.

تركّز الدراسة أيضاً على المسألة الملحّة المتعلّقة بكيفية تفسير التراث الثقافي في البيئة المبنيّة اليوم، وكيفية إيجاد لغة ملائمة لمشروعات لا تقلّد وتحاكي وإنما تخلق وتُلهم. وهي تشكّل جزءاً لا يتجزّأ من مشروع النموذج الأولي لأبنية العريش البيئية في قلعة الموقب في ليوا الذي يسعى إلى وسيلة لضمان الاستمرارية الثقافية الأصيلة.

يجمع مشروع بحوث العريش أدلّة تاريخية على عمارة العريش من الصور الفوتوغرافية المحفوظة والاستخدام المعاصر للعريش في أشكال نموذجية. وفي هذا الكتاب، حاولت تحليل خصائص المعايير التصنيفية للعريش في كل منطقة وتعريفها، مستفيدة جزئياً من مقابلات أجريتها مع أفراد بارزين.

وفي إطار هذا العمل تنقّلت على نطاق واسع في أنحاء دولة الإمارات العربية المتحدة، وقمت بزيارات ميدانية، وسجّلت مقابلات، وعملت مباشرة مع موظفين في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في العين لإنشاء مبانٍ تجريبية من العريش، وأجريت بحثاً في المكتبة، وعلى الإنترنت عند الاقتضاء. ويمثّل هذا الكتاب، على حدّ علمي، أول بحث منشور عن العمارة بسعف النخيل في البلد.



بناء خيمة من سعف النخيل،
ستينيات القرن العشرين

1

تاريخ العريش: نظرة عامة فوتوغرافية



عند التنقّل في أبوظبي أو دبي اليوم، لا يسع المرء إلا أن يعجب من المدن الحديثة التي تُبنى بسرعة مدهشة. ومن الصعب أن نصدّق أن أنماط هذه المدن كانت قبل خمسين سنة فقط مختلفة جداً وأن معظم المباني كانت مصنوعة من سعف النخيل.

تستحضر الأدلّة التاريخية على العريش، أو العمارة بسعف النخيل، كما توجد في النصوص، والخرائط والرسوم، والصور الفوتوغرافية مدناً فريدة كانت تضمّ ذات يوم ما يزيد على ألفي منزل مصنوع من سعف النخيل، والعديد من القرى المبنية بسعف النخيل، كما في واحة ليوا عند حدود الربع الخالي، وبيوت سعف النخيل المفردة، كتلك المصوّرة في رأس الخيمة.

يوشك التراث الأصيل لحرفة العريش في دولة الإمارات العربية المتحدة على الاندثار. غير أن المعرفة والمهارة ما زالتا موجودتين لدى حفنة من المسنّين الذين تقدّم ذكرياتهم عن إنشاء البيوت المصنوعة من سعف النخيل والعيش فيها فرصة لإنقاذ هذا التراث قبل فوات الأوان.

وتشمل مصادر الأدلّة الأخرى الصور الفوتوغرافية التي التقطها المستكشف البريطاني وِلْفِرد ثِسَيغر (Wilfred Thesiger) بين سنتي 1945 و1950 والشركات التجارية التي قدمت إلى الإمارات بحثاً عن النفط، وتحديداً بريتيش بتروليوم. توجد صور ثِسَيغر في مجموعات متحف بيت رِفرز (Pitt Rivers) في جامعة أكسفورد. وتشمل المصادر القيّمة الأخرى الجمعية الجغرافية الملكية (ومعهد الجغرافيين البريطانيين) في لندن، والصور الفوتوغرافية لشركة بريتيش بتروليوم في أرشيف الشركة في جامعة وُرويك، وشركة أبوظبي

للعمليات البترولية البرّية (أدكو). بالإضافة إلى ذلك، تقدّم المجموعات الشخصية، مثل مجموعة الدكتور سلطان القاسمي في دارة الدراسات الخليجية في الشارقة، ومجموعات الباحثين من أمثال د. آن كولز (Anne Coles)، صوراً فوتوغرافية رائعة.

وبفضل عمل علماء الآثار، يمكن أن توضع قصّة العمارة بسعف النخيل في إطار زمني أوسع بكثير. فقد كشف التأريخ بالكربون لنوى التمر الذي عُثر عليه أثناء الحفريات في رأس الخيمة (إحدى الإمارات الشمالية) أن عمرها يبلغ أربعة آلاف سنة. وتصوّر الرسوم التوضيحية في القرن الثامن عشر الوجود البرتغالي في الإمارات وبيوت سعف النخيل التي تسمّى محلياً بالخيم. ومن الملفت أن أحد البيوت التي كشفت عنها الحفريات في الموقع رقم 11 في جزيرة دلما، وهي حفريات أجراها الدكتور مارك بيتش (Mark Beech) وإليزابيث شِفرد (Elizabeth Shepherd)، تثبت أن تاريخ العمارة بسعف النخيل في هذه المنطقة وفي جنوب شرق شبه الجزيرة العربية يرجع إلى سبعة آلاف سنة على الأقل.

ليوا



ليوا، مساكن العريش، نوفمبر –
ديسمبر 1948



قرية شاه، ليوا، 1950–1960



[إلى اليمين] ليوا، مساكن العريش في الخلفية، نوفمبر – ديسمبر 1948

[ظهر الصفحة] بيت نموذجي مصنوع من سعف النخيل في ليوا ذو مكوّن منحنٍ داخل السياج، وهو فريد في هذه المنطقة، نوفمبر – ديسمبر 1948









العين

واحة العين، أبريل 1948



واحة العين، فبراير – أبريل 1949

[ظهر الصفحة] واحة العين، ويظهر جبل حفيت في الخلفية، أبريل 1948







[فوق وأسفل الصفحة المقابلة]
واحة العين، أبريل 1948

[فوق] إنشاء بيت من سعف النخيل، ستينيات القرن العشرين



أبوظبـي



أبوظبي، 1953





[الصفحة المقابلة] أبوظبي، مارس 1967

[تحت] أبوظبي، أكتوبر 1962




الفجيرة

قلعة الفجيرة في سنة 1941



رأس الخيمة



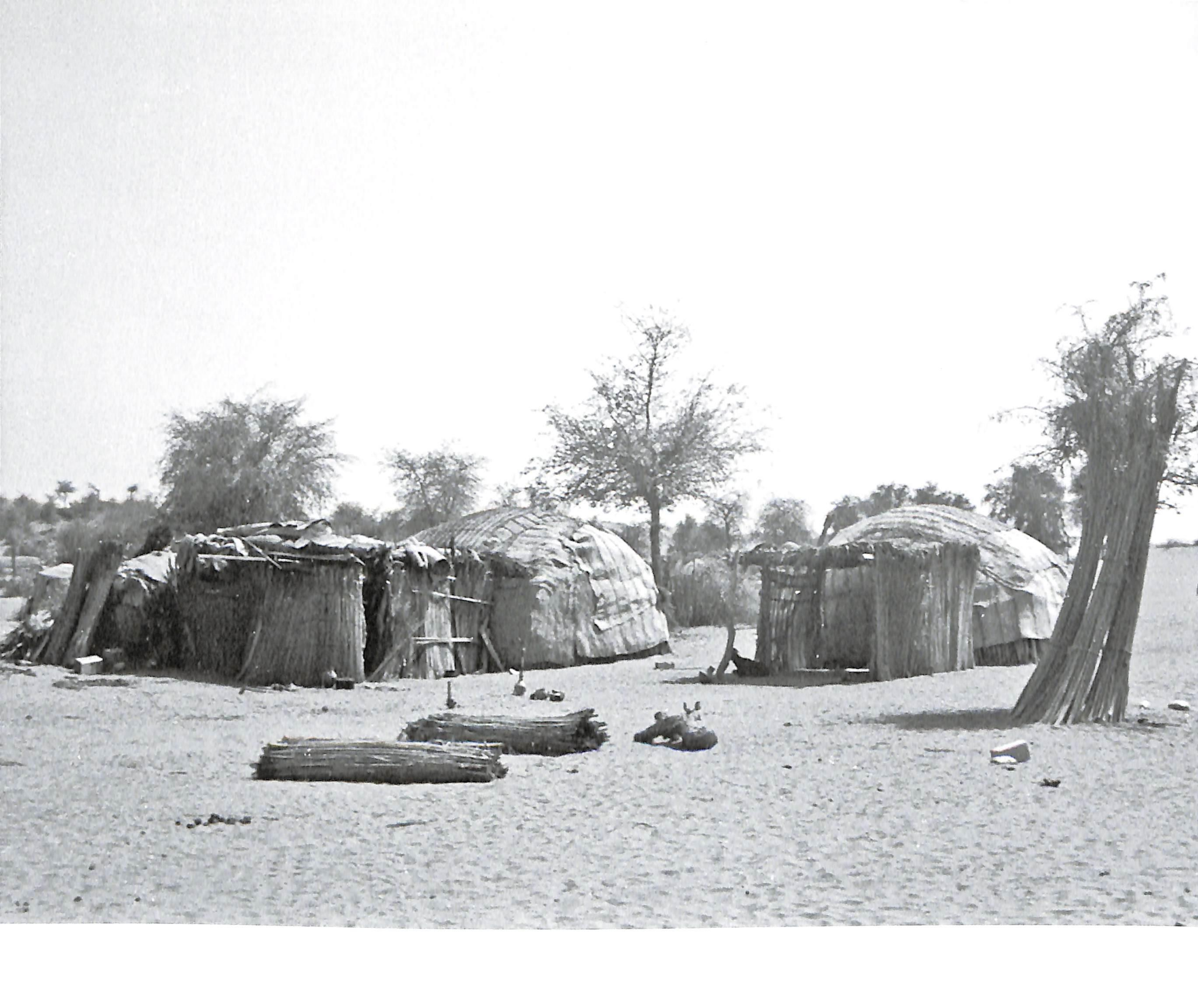
[إلى اليمين] عريش مقصّص – منزل شتوي في رأس الخيمة، سنة 1925

[تحت] مدرسة زراعية جديدة في رأس الخيمة، فبراير 1959





رأس الخيمة، منازل البلوش في
سبعينيات القرن العشرين، تمثّل
استخداماً مثيراً للاهتمام لسعف
النخيل في إنشاء السطوح المنحنية



الشارقة



الشارقة، ثلاثينيات القرن العشرين

سوق في الشارقة، مايو 1948





دبي



[فوق] دبي في سنة 1950

[إلى اليمين] دبي في سنة 1950، كانت في ذلك الحين تجمّعاً سكانياً يتكوّن من كثير من بيوت سعف النخيل





دبي في سنة 1950، تبدو البيوت النموذجية المصنوعة من سعف النخيل، وهي تسمّى محلياً خياماً

[فوق] بيوت من سعف النخيل
قرب خور دبي في مايو 1948

[إلى اليمين] مشهد لخور دبي
في مايو 1949، تسليم الدعون
(مكوّنات بناء مسبقة الصنع)
على حمار





دبي، مايو 1949، هيكل للبراجيل
ينشأ سنوياً قبل حلول الصيف



2

العمارة بسعف النخيل في الإمارات



يتأثّر فهمنا للعالم تأثّراً كبيراً بوسائل الإعلام، وهي للأسف نادراً ما تحتفي بالتنوّع الثقافي. تمتدّ البلاد العربية عبر ثلاث قارّات، من أفريقيا إلى الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية وإلى آسيا. يجمع بين هذه البلدان الدين واللغة، لكنها تمثّل مع ذلك ثقافات إقليمية مختلفة، تطوّرت أولاً وقبل كل شيء تبعاً للجغرافيا والمُناخ. وقد شكّلت الجيولوجيا وتوافر المياه الجوفية العوامل المحدّدة الرئيسية لشكل المسكن الأساسي في الصحارى القاحلة على وجه الخصوص.

يكشف هذا المسح للإمارات السبع عن التنوّع الرائع في العمارة بسعف النخيل، إذ تتفاوت من منطقة إلى أخرى وتجسّد ما أسماه الاقتصاديون «النزعة المحلية المفرطة» (hyperregionalism). وقد نشأت الاختلافات في الاستجابة المعمارية بسبب التضاريس المميّزة للإمارات، من المشاهد الطبيعية الخلّابة للصحراء في واحة ليوا على حافّة الربع الخالي إلى جبال الحجر والمناطق الساحلية.

تطلّب المُناخ الصيفي القاسي في هذه الأصقاع الخالية القدرة على التكيّف، وكان وجود نوعين من البيوت، واحد للشتاء وآخر للصيف، عرفاً مألوفاً، حيث يُنشأ الأخير في أثناء الارتحالات الصيفية. وقد طوّر سكان المدن الساحلية حلولاً خاصة بهم لاحتمال قائظة الصيف على شكل ملاحق للبيوت مزوّدة ببراجيل (أبراج للريح) للتبريد، حتى في داخل المسكن نفسه.

وشكّلت البنى الاجتماعية طبقة أخرى للتنوّع المحلي. فقد كانت أهمية الانتماء إلى قبيلة ولا تزال من أكثر الخصائص إثارة للإعجاب في المجتمع العربي.

تتباين أسماء المباني المصنوعة من سعف النخيل أيضاً: البيت الصيفي المشيّد بسعف النخيل يسمّى «عريشاً»، ويبدو في حتّا مختلفاً عن البيت المُقام لغرض مماثل في رأس الخيمة.

على الرغم من كثرة أوجه التنوّع المحلّي، فإنه لا شكّ في أن التنظيم المكاني للمساكن والتجمّعات السكّانية من حيث احترامها للتقاليد الإسلامية موحّد في المنطقة بأكملها.



إمارة أبوظبي

تُقسم التضاريس الطبيعية لدولة الإمارات العربية المتحدة إلى إقليمين: سلسلة الجبال على الشاطئ الشرقي والشمال، والمناطق الصحراوية. تغطّي الكثبان الرملية 74 في المئة من مساحة إمارة أبوظبي. وتسود الرواسب الساحلية حيث تلتقي اليابسة بالساحل. تشكّل صحراء الربع الخالي والحافة الشرقية لجبال الحجر البركانية الصخرية التخوم الجنوبية للإمارة وتمتدّ سبخة مطي بعيداً على الحدود الغربية. وتعتبر المنطقة الغربية من الإمارة بيئة قاسية، تخلو من جميع النباتات والحيوانات في بعض الأماكن.

ترتبط جيولوجية دولة الإمارات العربية المتحدة ومناخها بالعمارة بسعف النخيل لأنهما يؤثّران على نموّ أشجار النخيل. ولا يوجد على امتداد مئات الكيلومترات المربّعة من السهل الصحراوي بين ليوا وطريف أي نباتات أو غابات طبيعية. فالكثبان الرملية المتحرّكة، والريح، والتعرّض للشمس المحرقة تحول دون نموّ أي نوع من أنواع النباتات.

[الصفحة المقابلة] تضاريس طبيعية من المنطقة الغربية قرب السلع

هناك منطقتان فقط في دولة الإمارات العربية المتحدة، ليوا والعين، تشكّلان واديين طبيعيين في أرض منبسطة إلى حدّ كبير. وكانتا واحتين طبيعيتين نشأتا عن وجود المياه الجوفية والتربة المنفذة ووضعية الأرض. وللواحتين شروط طبيعية متماثلة، حيث المناطق التي يرتفع فيها معدّل ارتشاح المياه تتيح نموّ أشجار النخيل، والمناطق الأخرى تحول دون نموّ النباتات (صحراء الربع الخالي في ليوا، وجبل حفيت في العين).

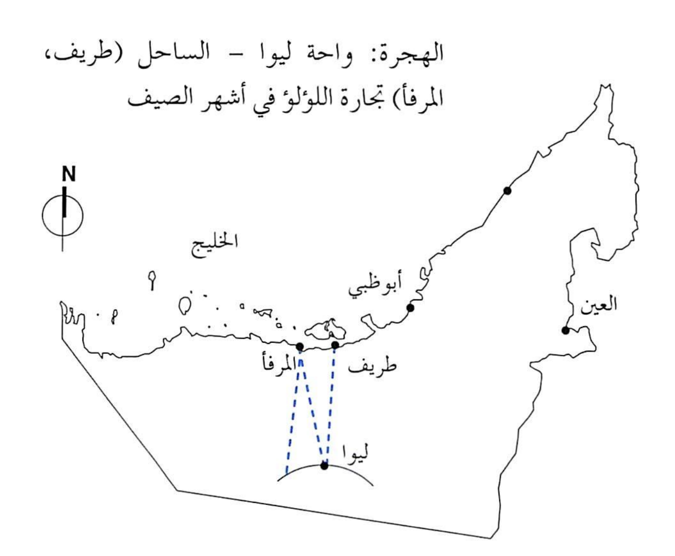
مجتمع قَبَلي

هناك عاملان رئيسيان يحكمان أنماط الهجرة في المنطقة. أحدهما المُناخ. ففي أشهر الصيف الشديدة الحرارة والرطوبة، ينتقل الناس عادة من الساحل إلى المناطق الداخلية التي توجد فيها مياه عذبة. والآخر اقتصادي، إذ تحدث الهجرات موسمياً من ليوا إلى الساحل، حيث يستطيع الرجال كسب المال لشراء الطعام من صيد اللؤلؤ. وعندما يصيب الناس الثراء، فإنهم يرتحلون من الأماكن الساحلية من أبوظبي إلى العين، حيث يمكنهم شراء أرض ذات مياه جوفية جيدة النوعية.

الاقتصاد

هناك ثلاثة مصادر للدخل في المجتمعات البدوية التقليدية: تربية الجمال، وزراعة النخيل، والغوص لصيد اللؤلؤ. لم يكن المُناخ والجيولوجيا يسمحان بالتوسع في الزراعة. وترتبط قصة العمارة بسعف النخيل ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد وطريقة عيش الناس: يمكننا أن نميّز الأشكال الزراعية الأساسية، مثل المساكن وحظائر الحيوانات، لا سيما الجمال والماعز. ولا تزال حظائر الحيوانات موجودة اليوم وبخاصة داخل منطقتي ليوا والعين وحولهما.

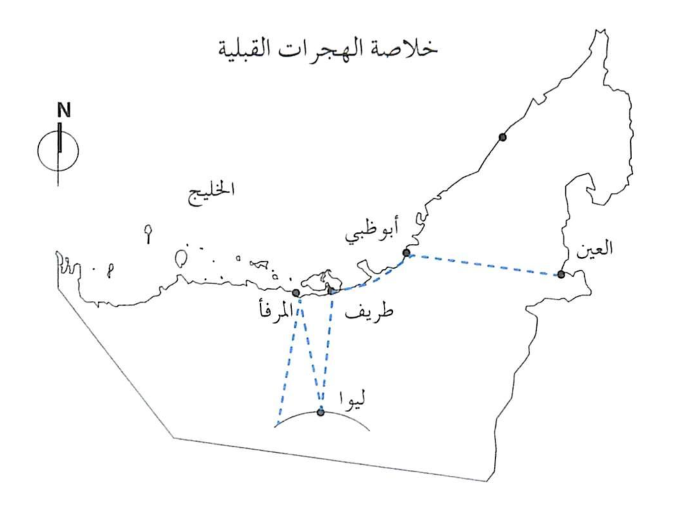
الهجرة: واحة ليوا – الساحل (طريف، المرفأ) تجارة اللؤلؤ في أشهر الصيف



الهجرة:
أبوظبي – العين شراء بساتين النخيل، قطاف الرطب في الصيف



خلاصة الهجرات القبلية





الهجرات قبل اكتشاف النفط وبعده[2]

قبيلة بني ياس

في سنة 1908
12,000 نسمة منهم 10،000 مستقرّون و2000 بدو
2800 استقروا في أبوظبي – 466 منزلاً*
2000 استقروا في دبي – 333 منزلاً
5000 استقروا في منطقة ليوا – 833 منزلاً
مناطق الاستقرار الأخرى: واحة البريمي والقرى الساحلية
* 6 أفراد في الأسرة

في سنة 1950
انخفض العدد الإجمالي إلى:
8000 مستقرون
1700 بدو
في سنة 1968
انخفض العدد الإجمالي إلى:
5884 مستقرون
تقدّم المصادر المختلفة معلومات مختلفة عن عدد الفروع في قبيلة بني ياس، وتتراوح بين 6 و20. ولغرض فهم السكان الذين يعيشون في مساكن العريش، أخذت الفروع التالية في الحسبان:
1908
آل بو فلاح (آل نهيان) – يمضون الشتاء مع الجمال في الصحراء وفي الصيف يصطادون اللؤلؤ. وكانوا أول من اقتنى أرضاً في واحة العين من بني ياس.
1950
آل بو مهير
المنازل المملوكة:
35 في أبوظبي، و20 في العين، و300—400 في دبي، و60 في الشارقة
الرميثات
100 منزل في أبوظبي
القبيسات
صناعة اللؤلؤ (40 قارباً)
1950 – 40—50 منزلاً في ليوا

المزاريع
1908 – 315 منزلاً في ليوا
1951 – 142 أسرة (مقسومة على 6 = 23 بيتاً)
1956 – 151 أسرة (مقسومة على 6 = 25 بيتا)

المحاربة
1908
المنازل المملوكة:
150 في ليوا، و60 في أبوظبي، و50 قرب أبوظبي

الخلاصة:
في سنة 1908 أمكننا تقدير العدد التالي للمنازل
أبوظبي
2800 مستقرون في أبوظبي
466 منزلاً منها:
35 – فرع آل بومهير من قبيلة بني ياس
60 – فرع المحاربة من قبيلة بني ياس
ليوا
5000 مستقرون في منطقة ليوا
833 منزلاً منها:
315 – فرع المزاريع من قبيلة بني ياس
150 – فرع المحاربة من قبيلة بني ياس

الخمسينيات
ليوا
25 منزلاً – فرع المزاريع من قبيلة بني ياس
50 منزلاً – فرع المحاربة من قبيلة بني ياس
75 – 100 منزل تقريباً أو أكثر

في سنة 2009 لم يتبقّ أي من منازل العريش

ليوا والمنطقة الغربية

المنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، بساحلها وسبخاتها الداخلية غير ملائمة لتشكّل الواحات. وتستخدم سعف النخيل في مدينة زايد وغياثي، لا سيما لصنع الأسيجة أو وسائل التظليل. وتوجد في المنطقة الغربية بقايا قليلة لحرفة العريش لكنها توضح أن المواد يمكن استخدامها للمنشآت الكبيرة. وتستخدم الأسلاك والحبال لوصل سعف النخيل في حين يستخدم الشبك السلكي دعامة لها. ومن أهم أمثلة العريش الموجودة في المنطقة الغربية مزرعة بينونة للدجاج، حيث يستخدم العريش في الحظائر الظليلة للحيوانات ولتعيين الحدود على شكل أسيجة.

تتحوّل التضاريس الطبيعية ببطء من السبخات إلى الكثبان الرملية في جنوب المنطقة الغربية ومدينة زايد، حيث تشكّل حافة الربع الخالي، وهي من أكبر الصحارى الرملية في العالم، وأقساها مناخاً. ومن الأوروبيين الذين نجحوا في عبور الصحراء المستكشف البريطاني وِلْفرِد ثِسَيغر، في سنة 1946—47 وثانية في سنة 1948. وفي أثناء العبور الثاني، سجّل ثِسَيغر بالصور الفوتوغرافية واحة ليوا، حيث توفّر الجيولوجيا مياهاً مالحة لكنها صالحة للشرب. وقد أتاح وجود هذه المياه الصالحة للشرب على بعد 200 كيلومتر عن البحر للبدو من قبيلة بني ياس الاستقرار هناك، حيث ظلّت أشجار النخيل المزروعة على مدى قرون مصدراً للغذاء والمصدر الوحيد لمواد البناء.

عمارة البدو

كانت سعف النخيل الجافّة، وجذوع النخيل، والحبال المصنوعة من ألياف جذوع النخيل الموادّ المستخدمة بإبداع كبير في تقنية الإنشاء التي تسمّى عريشاً، هي مساكن مصنوعة من سعف النخيل. وكانت النساء يبنين المساكن فيما يشارك الرجال في الارتحال الصيفي إلى الساحل لكسب الدخل. وتشير سجلات السكان في سنة 1908 إلى أن واحة ليوا كانت تضمّ نحو ثمانمئة مسكن من سعف النخيل في ذلك الوقت.

توضح الأنماط «الحضرية» أو الصحراوية إحدى أهم نواحي المجتمع العربي: انتماء الفرد إلى عائلة أو قبيلة. في الصور التي التقطها وِلْفرِد ثِسَيغر، نشاهد مجموعات من خمسة أو ستة مساكن تشكّل تكتّلات تعيش فيها العائلات المنفردة. ويشكل الأم والأب والأبناء وحدة عائلية واحدة. وعندما يتزوّج الابن، ينشئ لنفسه مسكناً في الحي. وعندما تتزوّج الابنة، تغادر منزلها وتذهب للإقامة مع زوجها. ووفقاً للعادة الإسلامية، لم يكن يُسمح للصهر بالعيش في مسكن طفولة زوجته، ويستطيع أن يزور المكان المخصّص للرجال فقط، ويدعى المجلس. وفي ليوا، يعمل الرجال في أثناء النهار، وغالباً ما ينامون في الخارج على الرمل في الليل.

اليوم لا تزال هناك نحو خمسين قرية في ليوا. ويمكن ملاحظة تمايز مكاني مماثل في أنحاء أخرى من الإمارة، بما في ذلك المدن الساحلية، ولا تزال تراعى العادة الاجتماعية التي تفصل بين الرجال والنساء داخل المنازل على نطاق واسع اليوم.

منزل نموذجي في ليوا

إن معلوماتنا عن مساكن العريش في ليوا مستمدّة بالدرجة الأولى من الصور الفوتوغرافية التي التقطها وِلْفرِد ثِسَيغر في سنة 1948، وبخاصة صورته لقرية شاه (انظر ص 59). وقد ساعد تحليل هذه الصورة المؤرّخين في فهم القوى المحرّكة للأسر في ذلك الوقت. كما شكّل أساس إعادة تشييد هذا المسكن في ربيع 2010، ومثّل ذلك عودة النمط المعياري لهذا البناء إلى واحة ليوا والربع الخالي للمرة الأولى منذ أربعين عاماً.

[الصفحة المقابلة] مساكن قروية نموذجية في ليوا، نوفمبر—ديسمبر 1948



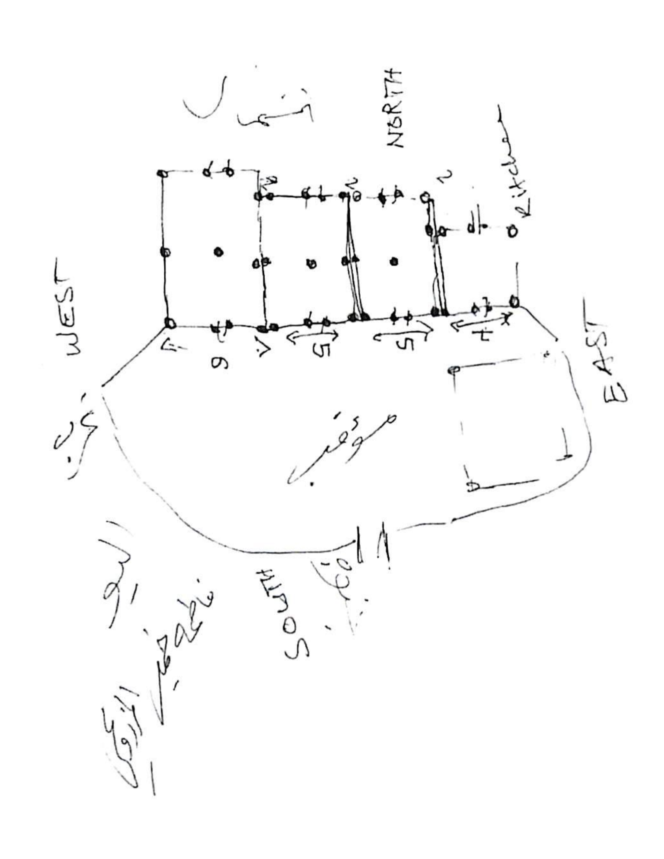
اضطلع المجتمع المحلي بإعادة الإنشاء التي أطلقتها المؤلفة، مستعيدة الطريقة التي كانت تبنى بها المساكن أو حتى مدن بأكملها من قبل عائلة، أو حي، أو مجتمع محلي. وقد شارك في هذا المشروع نساء من قبيلة المزاريع، وتحديداً فاطمة خميس الفندي المزروعي، ومدير بلدية ليوا، حسن سهيل المزروعي، وموظفو بلدية ليوا، وبيتر شيهان (Peter Sheehan)، وهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، وكانت مشاركتهم على قدر كبير من الأهمية.

أظهرت عملية إعادة الإنشاء فهم السكان المحليين العميق للمُناخ. يتخذ المسكن اتجاهاً شرقياً غربياً، ويخصّص تاريخياً مكان لصلاة العشاء في الجانب الغربي من مجموعة المساكن. ويوفّر القرب الوثيق للحجرات، حيث تبلغ المسافة بينها متراً واحداً تقريباً، الكتلة الحرارية والظل.

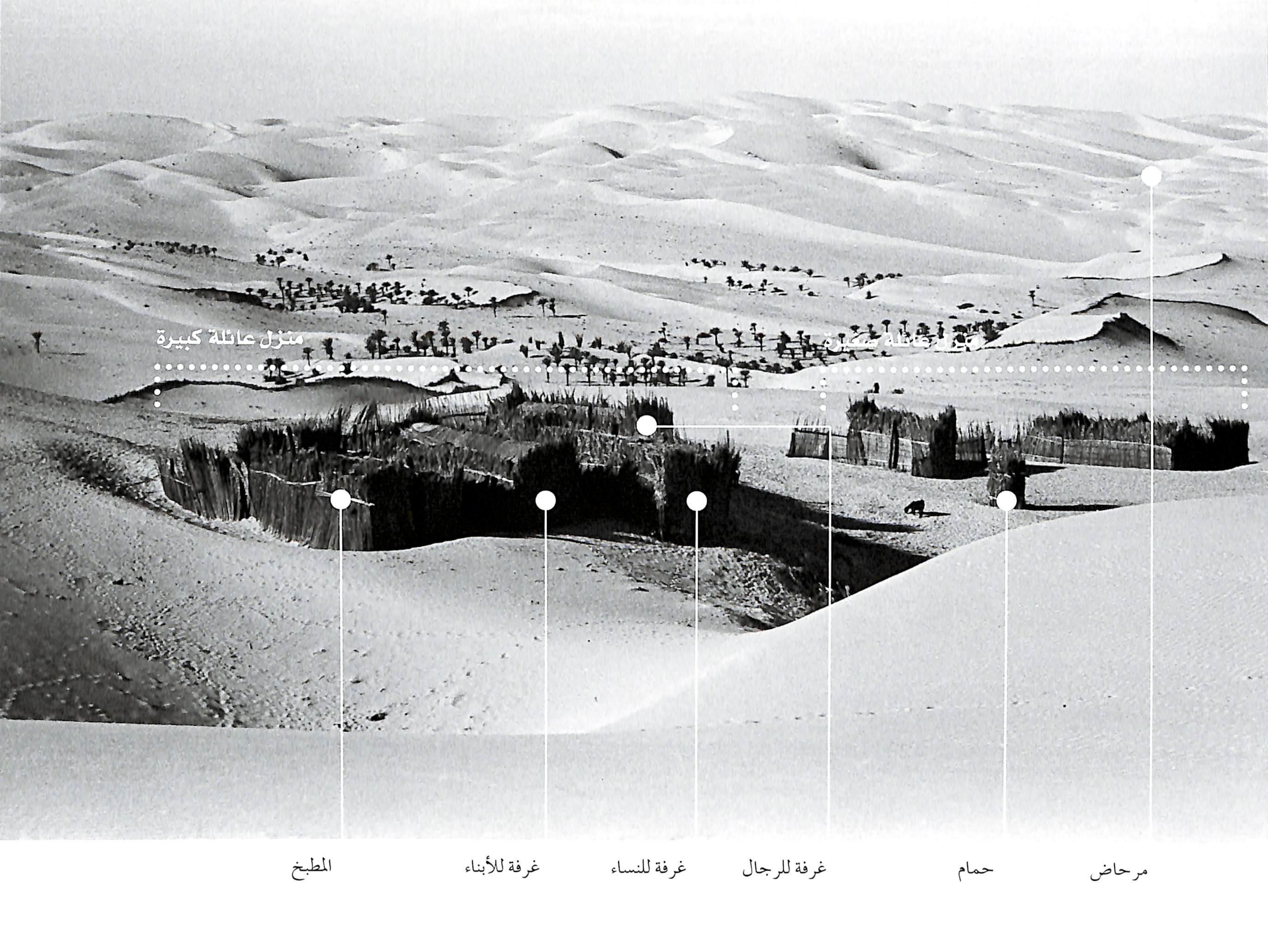
أنشئ المنزل بأكمله من مواد جاهزة ومتوافرة محلياً: سعف النخيل التي تقطع سنوياً للسماح بنموّ النخيل والتأبير، وجذوع النخيل للدعامات الإنشائية، وألياف الجذوع التي تفتل منها الحبال لربط مكوّنات البناء بعضها ببعض. كانت جميع العناصر مسبقة الصنع، بما في ذلك الجدران، والأسقف، والأبواب. يصنع من السعف حُصر تعرف باسم الدعن، وتلفّ للنقل أو تُفرد قبل الإنشاء وتستخدم في طبقة أحادية أو مزدوجة للجدران، وللعزل في أشهر الشتاء. وتنسج أوراق السعف الصغيرة معاً لصنع المفارش التي تسمى حصيراً.

الوظيفة الأولى والأهم للمنزل هي توفير الظلّ. في 22 يوليو 2010، قيست درجة حرارة الرمل في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر فبلغت 77 درجة سلزيوس، في حين بلغت درجة الحرارة داخل منازل العريش 54 درجة سلزيوس. ويعني ذلك أن المساكن توفّر تبريداً كبيراً ومستوى من الراحة النسبية على مدار العام، باستثناء الصيف. وتدرأ المسافات بين المنشآت ووضع الحصير بين الجدران حبات الرمل الصغيرة التي تحملها الريح في أثناء العواصف الرملية. وتتمتّع سعف النخيل أيضاً بقدرة جيّدة على عكس الحرارة. ففي 23 أبريل 2011، بلغت حرارة الرمل في الساعة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر 71 درجة سلزيوس، في حين سجّل الدعن المزدوج درجة حرارة 45 سلزيوس.

تعزّز المساكن بطبيعة الحال التماسك الاجتماعي واحترام الثقافة والدين. ومن بين الحجرات الأربع التي يقسم إليها كل منزل، تخصّص واحدة للرجال فقط (المجلس)، واثنتان للنساء والأبناء، والرابعة للمطبخ. وعلى الرغم من التغيّرات التي طرأت على المجتمع، فإن العائلات الإماراتية لا تزال تراعي هذه الاعتبارات الثقافية.



منزل عريش نموذجي في ليوا، رسمته فاطمة خميس الفندي المزروعي. كانت منازل العريش تنشأ من دون رسوم، وقد أنتجت هذه الرسمة بغية إعادة إنشاء منزل العريش فحسب.



مسكن عريض نموذجي، قرية شاه، ليوا، نوفمبر–ديسمبر 1948

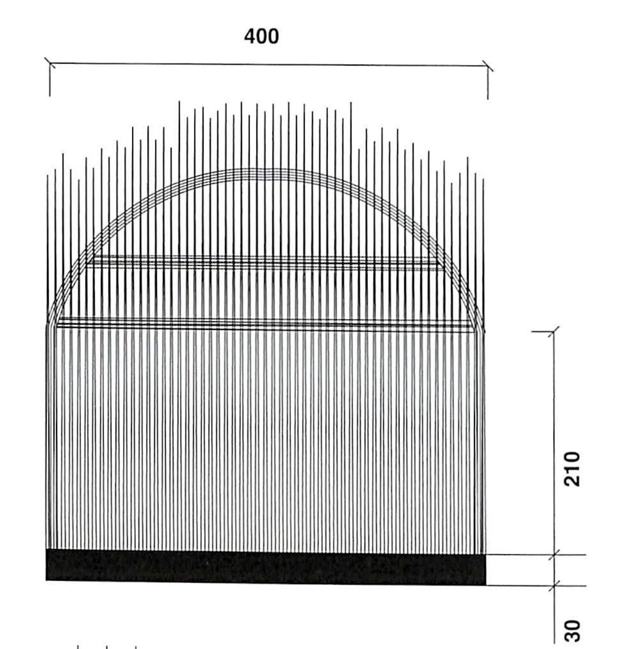
العناصر المعمارية الأخرى في المنطقة

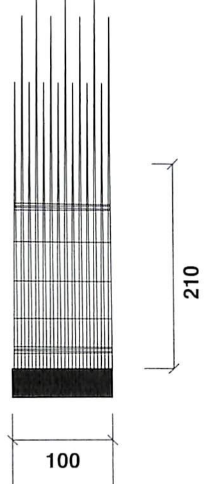
شكّلت الهندسة المنحنية، كما تعبّر عنها الأسقف وعناصر الأسيجة، ويوضح الرسم، عنصراً معمارياً مميّزاً في مساكن العريش في ليوا. وتنفرد ليوا بهذا الشكل الهندسي وربما يرجع إلى تأثير التضاريس الصحراوية.

ربما يوجّه مثل هذا العنصر المحدّد نحو القبلة لأداء الصلوات اليومية. وتضع النساء البدويات سعف النخيل في الرمل لتليينها وبالتالي تمكّن البنّائين من حنيها بمرونة.

لإنشاء السياج، تربط سعف النخيل العادية معاً أفقياً ببضعة قضبان على ارتفاع نحو 2,1 متر فوق الأرض، من أجل الثبات الإنشائي. وتوصل السعف معاً بحبل يوفّر دعامة ثانوية. في الأسيجة البدوية الأصيلة، تترك 50–70 سم العلوية من السعف على حالها دون قطع أو تشذيب، وتترك الأوراق عليها في بعض الأحيان.

تستخدم اليوم سعف النخيل لتسييج بساتين النخيل وتعيين حدودها، ولكن ليس على الطريقة البدوية التقليدية. فهذه الأسيجة تشذّب من أعلاها، ولا تشبه الطريقة التي كان يركّب فيها العريش معاً قبل 300 سنة في واحة ليوا. غير أن هناك مجالاً للإبداع، وبعض أنماط الأسيجة الحديثة مرضية من الناحية الجمالية. وتستخدم سعف النخيل أيضاً لصنع مظلات مواقف السيارات وخزانات الماء.





[فوق] سياج نموذجي في منطقة ليوا (القياسات بالسنتيمترات)

[الصفحة المقابلة، فوق] عائلة بدوية ويبدو منزل سعف النخيل في الخلفية، نوفمبر–ديسمبر 1948

[الصفحة المقابلة، تحت] أول إعادة إنشاء لمنزل عريش في واحة ليوا بعد 40 سنة

تراث العريش في ليوا

من الصعب فهم سرعة اختفاء تراث العريش الأصيل من منطقة ليوا. فلا يزال أفراد قبيلة المزاريع وغيرها من فروع بني ياس تأتي إلى ليوا في الصيف لجني الرطب. وبعضهم لا يزال يزور ليوا في عطلات نهاية الأسبوع. وتبذل بلدية المنطقة الغربية جهوداً تستحقّ الثناء لتوفير البنية التحتية المدنية لسكّان ليوا وزوّارها.

ستتاح الفرصة خلال السنوات القليلة القادمة لإجراء مزيد من البحوث الأنثروبولوجية لتسجيل ذكريات المسنّين من بني ياس الذين تمتدّ قبيلتهم من قلب صحراء الربع الخالي إلى بقيّة الإمارات. وقد أقاموا في الخيام ومساكن سعف النخيل مئات من السنين. وإذا كان عدد سكان ليوا قد بلغ 5000 نسمة في سنة 1908، فيمكننا أن نتصوّر السهل الصحراوي بأكمله مليئاً بمساكن العريش ومجتمع مزدهر، يقوم على احترام البيئة ومعرفتها حقّ المعرفة.

واحة ليوا من أكثر التضاريس الصحراوية تميّزاً في العالم. ومن المهمّ توفير نماذج معيارية للعمارة الأصلية لفهم المخططات التي ترتبط ارتباطاً عميقاً بالأرض، والمُناخ، والمجتمع من منظور تاريخي، وثقافي، وإثنوغرافي. ويقدّم المشروع المعروض في فصل «تطبيقات معاصرة» من هذا الكتاب، ويدعى النموذج الأولي لأبنية العريش البيئية، مثل هذا النموذج المعياري.

لم يتبقّ في ليوا أي منازل أصيلة مصنوعة من سعف النخيل، وإنما منازل أعيد إنشاؤها حديثاً. كان يوجد قليل منها في ثمانينيات القرن العشرين، لكن دمّرت هذه المنازل عندما أنشئت الطريق الرئيسية، كما أكّدت حمدة حازم المزروعي.



[الصفحة المقابلة، فوق إلى اليمين] عريش في مزرعة فاطمة وراشد المزروعي في مدينة زايد، يناير 2011.

[الصور الأخرى] إعادة إنشاء منزل عريش نموذجي في ليوا، بتفاصيل معمارية تتفرّد ها هذه المنطقة، أبريل 2010.





العين

الهجرات القبلية – مساكن العريش في أبوظبي، 1968

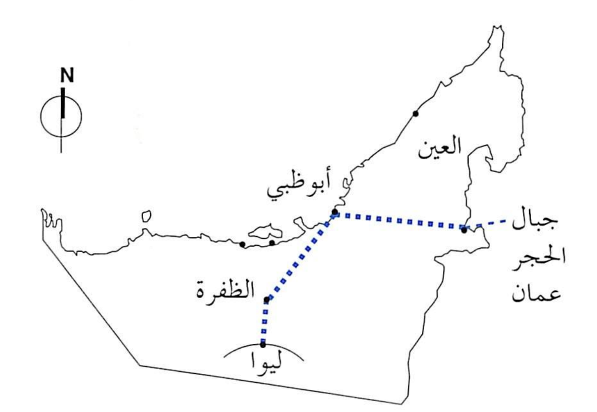
العين هي ثاني أكبر واحة طبيعية في إمارة أبوظبي. توفّر فيها أفلاج المياه الجوفية ماء ذا نوعية أفضل بكثير من الماء الموجود في ليوا، في حين يساعد جبل حفيت في الاحتفاظ ببعض هذه المياه في وادي العين. وتتيح خمس واحات جميلة في المدينة الكثير من المواد لإنشاء منازل سعف النخيل.

ووفقاً لكتاب الدكتورة فراوكه هيرد باي (Frauke Heard-Bey) «من الإمارات المتصالحة إلى الإمارات العربية المتحدة: مجتمع في مرحلة تحوّل» (*From Trucial States to United Arab Emirates: A Society in Transition*, 2009) (ص 51–53) ومقابلة أجريت معها، كانت مهمة زايد الكبير السياسية والاستراتيجية كسب النفوذ في منطقة العين الغنية.

جاء بنو ياس من ليوا عبر أبوظبي إلى العين وأحرزوا النفوذ في المنطقة عبر مصاهرة القبائل المقيمة هناك أو بالقوة. كانت عملية بارعة ولكن دؤوبة نجحت في النهاية في الفوز بولاء قبائل العين لحاكم أبوظبي، وهو ولاء لا يزال قائماً اليوم. وكان هناك قبائل قادمة من عمان تقيم في المنطقة.

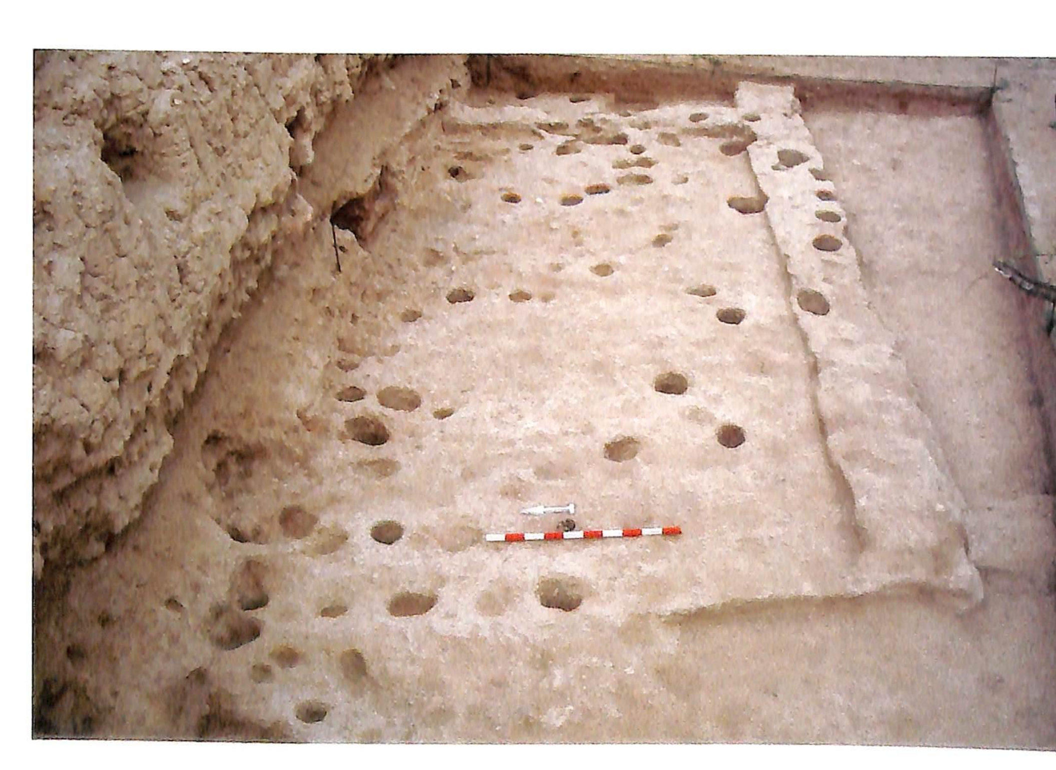
للتجارة دور مهمّ في هجرات القبائل. كان بعض بدو بني ياس يبيعون الجمال لشراء بساتين نخيل تعطي محاصيل أفضل، بفضل أنظمة الماء الأكثر تقدّماً من الينابيع التي تستمدّ المياه من الأفلاج. وبعضهم يحصل على الدخل من الغوص لصيد اللؤلؤ في أبوظبي، وكان من المعتاد شراء بساتين النخيل أو الأراضي في واحة البريمي. وللعين موارد مياه صالحة للشرب، وتظهر خرائط الأقمار الاصطناعية التي ترجع إلى سنة 1968 أن بعض الواحات كان يقطنها فرع من قبيلة، يقيم في تجمّعات سكانية تتكوّن من 15 و20 منزلاً.

نمت مساكن العريش في المنطقة بسبب جيولوجية الأرض التي شكّلت واحة طبيعية، ووجود المياه الجوفية وأنظمة الأفلاج، وهجرات البدو، وربما تقاسم حرفة الإنشاء بسعف النخيل مع جنوب البلاد.



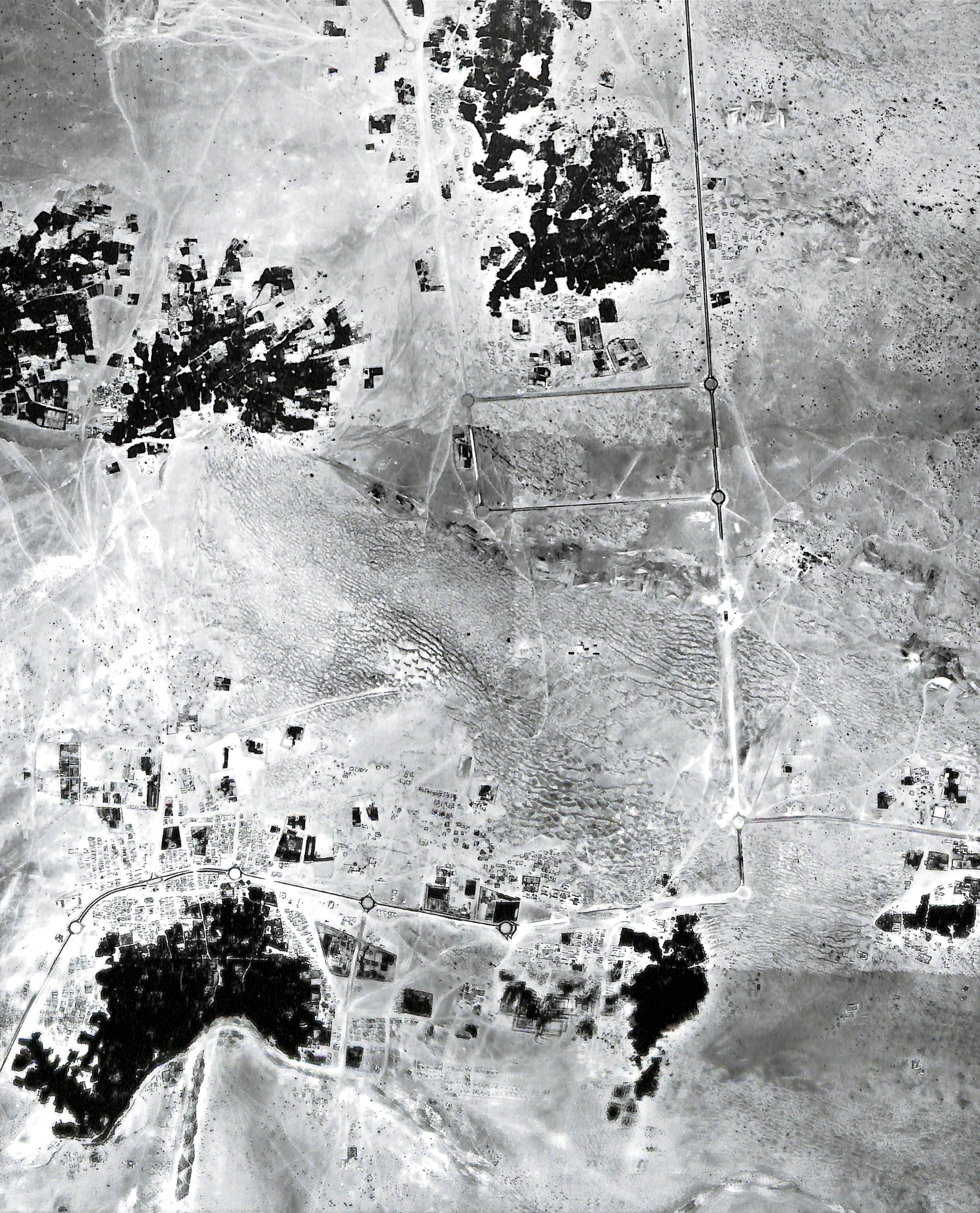
طريق هجرة أولي (القبائل الإماراتية)

طريق هجرة ثانوي (القبائل العمانية واليمنية)



[إلى اليمين] حفريات أثرية في مسكن بن هادي في واحة الهيلي، العين، تبدو جدران وثقوب ترجع إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر – وهي أدلة على استخدام جذوع النخيل.

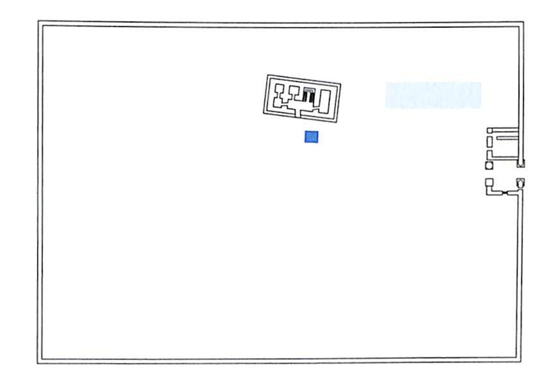
[الصفحة المقابلة] العين، 1968



مخطط حصن المربّعة، قرابة سنة 1980، يظهر موقع مبنى العريش

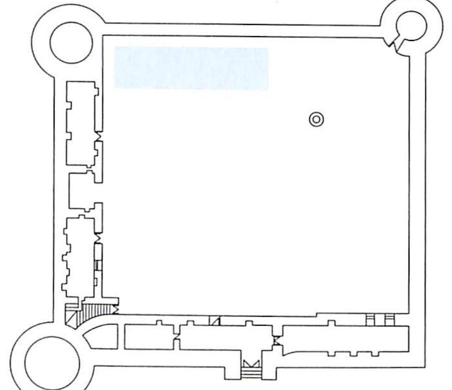
موقع مبنى العريش في سنة 1980

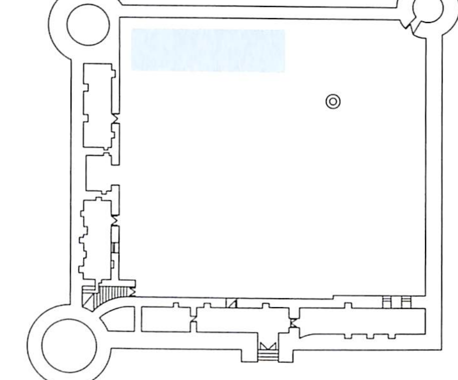
موقع مبنى العريش في سنة 1956



موقع حصن السلطان، قرابة سنة 1980، يظهر موقع مبنى العريش

موقع مبنى العريش في سنة 1980





منشآت العريش في الحصون

هناك حصنان فحسب في العين، كانا لا يزالان يضمّان منشآت عريش في فنائيهما في ثمانينيات القرن العشرين. وهما حصن السلطان الذي بني في سنة 1910، وحصن المربعة الذي بني في سنة 1948. يوجد حصن السلطان بجوار متحف العين الوطني، وكان منزل الشيخ زايد الكبير الذي أقام هناك مع عائلته حتى سنة 1922. وقد بُني من اللبِن، وكان مربع الشكل، ذا ثلاثة أبراج، وأربع غرف ومطبخ. وقد شكّل مبنى العريش (فكّك في سنة 2007) إيضاحاً رائعاً لنوعية الحيّز الذي تمتلكه منشآت العريش، بفضل الشفافية الجزئية للجدران.

بدأ إنشاء حصن المربّعة في سنة 1948 بناء على أوامر الشيخ زايد. وكان يضمّ برجاً للمراقبة ومقرّ قيادة الحرس الأميري. ويعتبر مبنى العريش الذي بُني في السبعينيات أو الثمانينيات أفضل مثال متبقٍّ عن عمارة العريش في إمارة أبوظبي. وهو مصنوع بمهارة شديدة، تنمّ عن فهم كبير للموادّ. ولا يقل مستوى الحرفية عن مستوى منازل قبيلة بني ياس في ليوا التي صوّرها وِلْفرِد ثِسَيغر. النوعية الداخلية للحيّز الداخلي الكبير شبيهة بالمسارح: داكنة، ومع ذلك تضيئها حزم من أشعة الشمس النافذة عبر الجدران الجميلة الحبك والسقف المائل، وهي مماثلة لأنماط منازل العريش النموذجية في السبعينيات في العين وأبوظبي.



[فوق، إلى اليمين والوسط] أمثلة على استخدام العريش في حصني المربعة والسلطان في العين

[فوق إلى اليسار] العريش المستخدم في المباني المصنوعة من اللبِن – تفاصيل السقف النموذجية في حصن القطّارة، العين، أغسطس 2009

منزل في العين

1 المدخل الرئيسي
2 منزل لعائلة واحدة
3 حظيرة حيوانات من العريش
4 مطبخ أو مسكن ملحق
5 بئر
6 شجرة
7 جدار طيني –حدّ
8 مدخل ثانوي

استخدام سعف النخيل في المباني الطينية

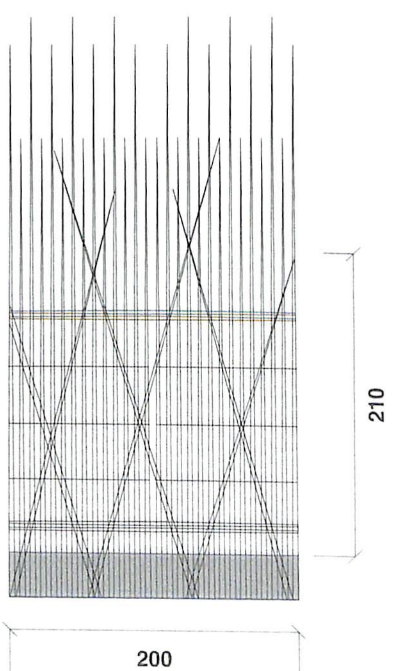
تشتهر العين بسلسلة من الحصون والأبراج والمباني المصنوعة من اللبِن. بعضها يوجد في مواقع رائعة في الواحات تحيط بها أشجار النخيل. وبعضها أعيد إنشاؤه في السبعينيات والثمانينات، في حين تُرك بعضها الآخر في أماكنه الشاعرية، وأجرت عليه هيئة السياحة والثقافة أشغال صيانة طارئة. ويتسم استخدام سعف النخيل في هذه المباني بالمثالية، وتشمل الدعون المستخدمة للسطوح والسقوف.

منزل نموذجي – عريش خلفان محمد الظاهري

أنشأ الشيخ زايد مساكن جديدة لعائلات العين في الستينيات، وفق ما روى خلفان محمد الظاهري، ما حفز على انتقال السكان من العريش إلى المنازل الجديدة.

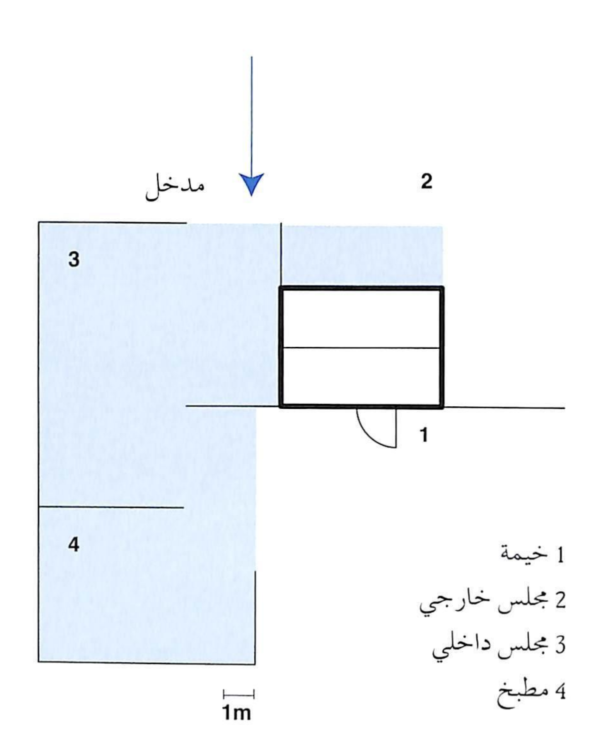
أشار مدير متحف العين إلى أنه من المعتاد أن يكون لمساكن العريش في العين باب موضوع في مواجهة الريح الشمالية الشرقية السائدة. مع ذلك، فإنها لم تكن تستطيع أن تتحمّل عاصفة قوية هبّت على المنطقة في سنة 1968 ودمّرتها. هذا الدمار يجعل من الصعب التحقّق بالضبط من كيف كان يبدو منزل العريش التقليدي في العين، إذ لا يوجد إلاّ قليل من الروايات التاريخية المتبقّية، ومثل هذه الوثائق الموجودة تصف

واحة العين، سياج ذو دعامات «متقاطعة»، تنفرد فيه هذه المنطقة، 1948 (المقاسات بالسنتيمترات)



منازل بنيت في السبعينيات، وتأثّرت بمنشآت الخيمة في أبوظبي (انظر الرسم أعلاه).

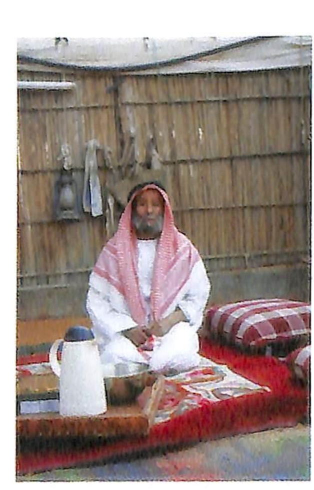
لقد حظيت بفرصة عظيمة لزيارة مزرعة خلفان الظاهري في العين ورؤية منازل العريش التي أنشأها، وهي تمثّل أسلوباً تقليدياً للعريش في العين. يقيم الناس على العموم في خيام شتوية في موسم البرد. وتستخدم في الصيف المنازل المصنوعة من سعف النخيل، وتسمى خياماً أيضاً بسبب سطوحها المائلة. وتبرز وصلات سعف النخيل المعقّدة ثراء المواد التي يعبّر عنها أيضاً من خلال عدد من السطوح الخارجية التي تضمّ الأوراق أو لا تضمّها.



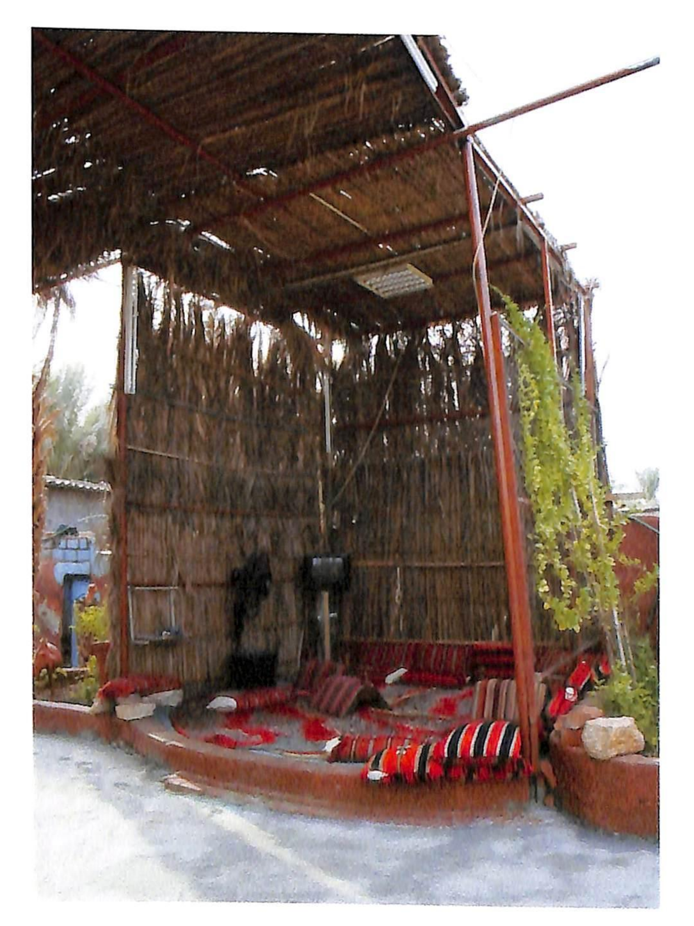
1 خيمة
2 مجلس خارجي
3 مجلس داخلي
4 مطبخ

أوراق النخيل والمباني «الترفيهية»

يمكن رؤية استخدام حديث مثير للاهتمام لسعف النخيل في المباني الترفيهية، مثل المطاعم ومقاهي الشيشة، ما يلفت الانتباه إلى الديناميكية الثقافية والمزج البهيج للقديم والحديث. ويشكّل مطعم قرية التراث في واحة القطّارة المرسوم في الصفحة المقابلة مثالاً رائعاً على التنوّع الثقافي. ربما لا يكون العريش الذي يزيّن نافورة أو أنوار عيد الميلاد جزءاً من التقاليد الإماراتية، لكنه ناجح ويتلاءم جيداً في سياق الحصون والمباني الطينية والطرق التي يتصوّر فيها الناس تراث دولة الإمارات العربية المتحدة. ما يدهش في المطعم المعروض في الصفحة المقابلة هو جودة الحيّز المتحقّق ونطاقه.



[إلى اليمين] خلفان محمد الظاهري في عريشه في مزرعة العين



[إلى اليسار] استخدام العريش في المباني الترفيهية، مقهى للشيشة في واحة الجيمي

[الصفحة المقابلة] مطعم قرية التراث في واحة القطارة، العين، أغسطس 2009



مدينة أبوظبي

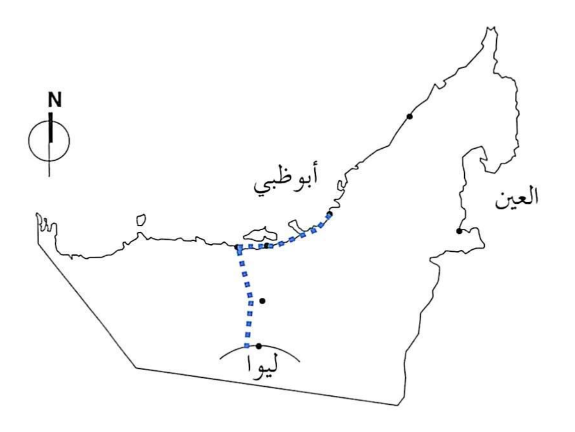
تعتبر جين جاكوبز (Jane Jacobs) من أكثر الكتّاب تأثيراً على التخطيط العمراني في القرن العشرين، وقد انتقدت في كتابها «وفاة وحياة المدن الأميركية الكبرى» (*The Death and Life of Great American Cities*) سياسات التخطيط الحديثة التي دمّرت مجتمعات وأحياء المدن الداخلية. لم تكن للمدن الأوروبية في العصور الوسطى أنماط الشوارع كتلك الموجودة في نيويورك، فقد نمت عضوياً في الشكل والوظيفة، مع مزيج ديناميكي للوظائف السكنية والتجارية، والأهم من ذلك الفضاء العام الخارجي.

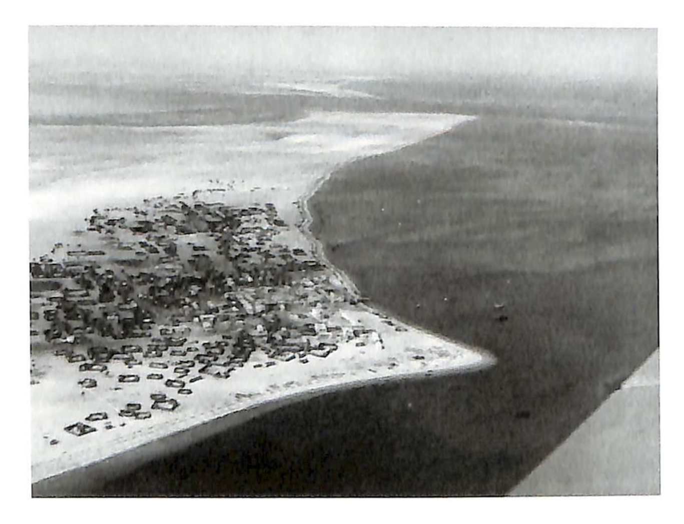
يمكن مقارنة مدينة أبوظبي في «أزمنة العريش» بمدينة أوروبية قروسطية في ديناميكية نموّها العضوي. وقد تطوّرت المنازل التي سكنها بنو ياس بالدرجة الأولى على الطريق من الميناء على الساحل إلى قلعة قصر الحصن، أقدم بناء حجري في مدينة أبوظبي. وظلّت القواعد القبلية للأسر والعائلات كما هي عليه في القرى، بحيث كان للانتماء إلى فرع من قبيلة أهمية كبرى في المجتمع وهو الذي يحدّد أين يبني الناس بيوتهم. ويمكننا أن نرى من الصور الفوتوغرافية الجوية للتجمّعات السكانية في أبوظبي أن التجمّع الواحد يتكوّن من ستة أو سبعة منازل، كما هو الحال في ليوا.

هذه المساكن المصنوعة من العريش مثال ممتاز على النموّ العضوي للمدينة من دون خطة رئيسية. فقد ظلت أبوظبي تبدو مدينة بدوية نموذجية حتى السنوات 1965–1968، عندما بدأت القبائل البدوية تنتقل إلى المساكن الاجتماعية تاركة بيوت العريش التي أجّرت للوافدين الهنود والباكستانيين.

نشب حريق في أحياء العريش لأسباب لا تزال غير واضحة اليوم. فقد كانت نساء بني ياس يطهين على نار مكشوفة في مطابخ العريش في ليوا، لكن لا يذكر أحد نشوب حريق لأنهن كن يتوخّين عناية شديدة. ولم تكن النار سبب اختفاء المنازل في ليوا. لكنّها فكّكت عند شقّ الطريق المعبّد وفقاً للتقارير المحلية. وعلى نحو مماثل في العين، لم تكن النار السبب في مغادرة البدو بيوت العريش. فقد قال السيد خلفان محمد المزروعي في مقابلة معه إن الانتقال إلى منازل «ملائمة» جاء بناء على أوامر الشيخ زايد بعد هبوب عاصفة قوية في سنة 1968 دمّرت بعض بيوت العريش.

طريق الهجرة القبلية الأصلية داخل أبوظبي





أبوظبي في سنة 1960

[الصفحة المقابلة] مشهد من سوق أبوظبي، مارس 1960

عناصر عمارة الشوارع

توضح الصور الفوتوغرافية لسوق أبوظبي مقدار تكثّف مواد العريش، حيث لم تستخدم للمساكن فحسب وإنما للأسواق أيضاً، وهي عماد حياة المدينة.

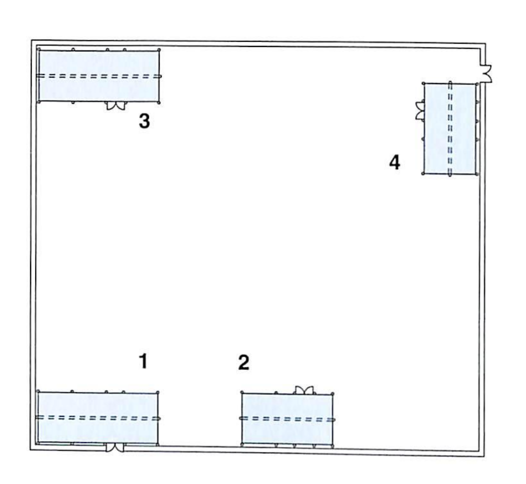
اختفت اليوم مساكن سعف النخيل وأصبحت أبوظبي مدينة حديثة، مع ذلك هناك دائماً أمل بإعادة إدخال حرفة العريش إلى المدينة وبعض التطبيقات المعاصرة.



التصنيف المعياري للمنزل

كانت أبوظبي في زمن العريش مدينة غير عادية من حيث احتوائها على منازل فسيحة ذات أفنية واسعة تحافظ على الخصوصية. ولا يزال الفناء شكلاً سائداً من أشكال البناء. يوجد في المنزل النموذجي حيّز للعائلة، ومجلس يمكن دخوله من الخارج فقط، ومطبخ بجواره.

تتميّز منازل سعف النخيل ذات السطوح المائلة بالاتساع وتسمّى خياماً. وقد استُخدم خشب الجندل (أو أي خشب متوفّر) في بناء الهيكل الأولي، والدعون المصنوعة من سعف النخيل للهيكل الثانوي. وكانت السطوح تغطّى بالكتّان والحصر أو بأغطية بلاستيكية لجعلها صامدة للماء.



فناء بيت عريش نموذجي في أبوظبي، 1960
1 مجلس للضيوف (ذو مدخل خارجي)
2 مطبخ
3 منزل العائلة
4 مخزن

الخلاصة

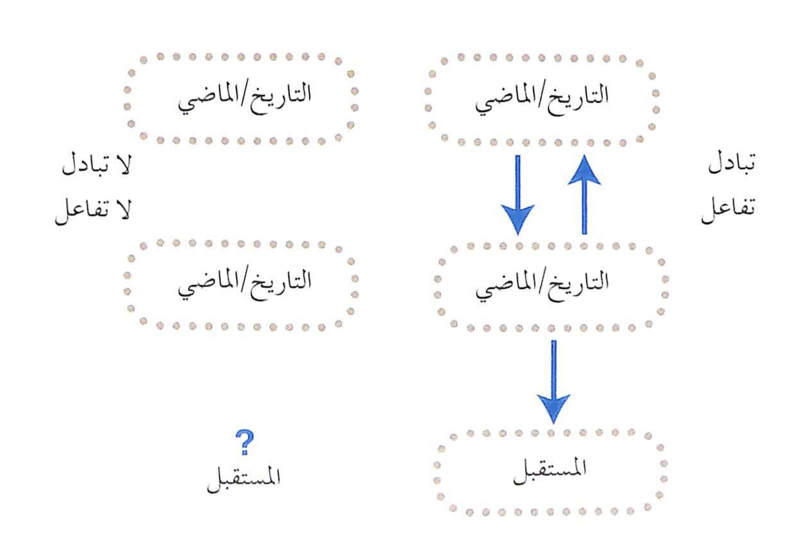
لا نعرف الكثير عن طبيعة مساكن سعف النخيل واستخدامها لأنها اختفت وأصبحت أبوظبي اليوم مدينة حديثة. غير أن هناك مجالاً لإعادة إدخال تراث العريش إلى مدن ليوا والعين وأبوظبي، على الرغم من تطوّرها الاقتصادي والاجتماعي الذي لا يتوقّف. المسألة هي كيف يعاد إدخال البناء بسعف النخيل إلى البيئة المبنية القائمة، لا بطريقة رمزية أو سطحية وإنما بطريقة أصيلة تربط الماضي بالمستقبل.

يكمن قسم من الإجابة في التشريع والمساهمة الثقافية القسرية التي يجب أن يظهرها أي بناء جديد. ويجب أن يجرى نقاش على المستوى الوطني في دولة الإمارات العربية المتحدة، كذلك الذي يجري في المملكة المتحدة أو أوروبا، للتمكّن من تعزيز الديناميكية الثقافية التي يصفها هذا الكتاب. دعونا لا نحافظ على التراث فحسب وإنما نفسّره أيضاً في إطار فكر القرن الحادي والعشرين، مستلهمين الحلول الأهلية المحلية التي استنبطتها قبيلة بني ياس في إقامة المباني والفضاءات العمرانية.



بيوت سعف النخيل النموذجية في أبوظبي، وهي تسمى خياماً، نمط إنشائي نموذجي في جميع المناطق الساحلية في شمال دولة الإمارات العربي المتحدة

[الصفحة المقابلة] سوق أبوظبي في نوفمبر 1962



[إلى اليسار] ينظر إلى التفاعل مع الماضي باعتباره حلاً للاستمرارية الثقافية في المستقبل



جزيرة صير بني ياس

لا توجد روايات كثيرة عن صير بني ياس، وهي جزيرة طبيعية قبالة ساحل أبوظبي. وترجع أقدم إشارة إلى الجزيرة إلى سنة 1590، عندما ذكر غاسبارو بالبي (Gasparo Balbi)، وهو جواهري من البندقية، أن صير بني ياس من الأماكن التي يصطاد فيها اللؤلؤ.[4]

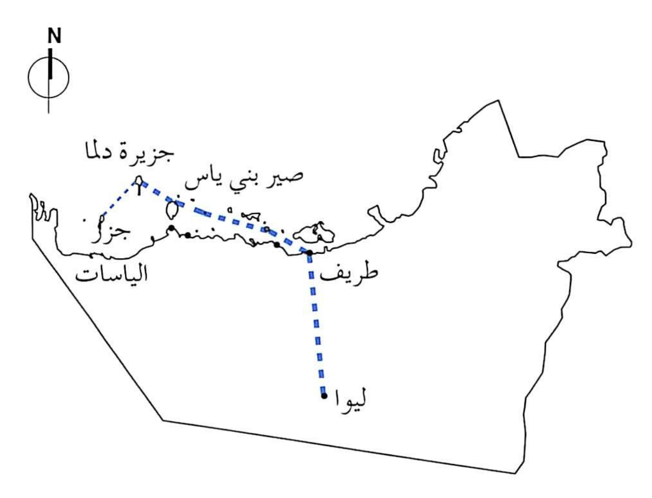
يخبرنا هذا المرجع عن صير بني ياس أن قبيلة بني ياس من ليوا كانت قدّ وطّدت وجودها في الجزيرة في ذلك الوقت. ونعرف من تقارير أكثر حداثة أن أفراد قبيلة بني ياس كانوا، بعد أن يجمعوا الرطب وينظّفوا أشجار النخيل،[5] يرتحلون في أشهر الشتاء من ليوا إلى ما يسمّى طريف اليوم، وتستغرق الرحلة عشرين يوماً على الجمال، ومن طريف إلى جزيرة صير بني ياس ودلما، مع بعض التوقّف في الجزر الصغيرة المجاورة. لكن افتقار جزيرة صير بني ياس إلى مياه الشرب دفع السكّان إلى الانتقال إلى دلما في السبعينيات. وكانت كلا الجزيرتين تقعان في مركز ضفاف اللؤلؤ، وأدّى ذلك إلى جانب موقعهما على الطرق التجارية في حوض الخليج المعروف للبحّارة منذ القدم، إلى جعلهما ميناءين جذّابين.

يصف جفري كنغ (G.R.D. King) في كتابه «المسح الأثري لجزر أبوظبي» (*Abu Dhabi Islands Archaeological Survey*) كيف حقّق مسح في سنة 1992 اكتشافات أثرية في شرق الجزيرة ترجع إلى القرنين السادس والسابع الميلاديين. وشملت المكتشفات بقايا منازل ذات أفنية، ومسجد، ومقبرة من فترة إسلامية متأخّرة. وتظهر مواقع المستوطنات المكتشفة في شمال الجزيرة، في منطقة تدعى «الظاهر»، أدلة على وجود بشري قبل الإسلام وفي فترة إسلامية متأخّرة. كما سُجّل وجود دير مسيحي قديم في الجزيرة.

غادر البدو الجزيرة قبل نحو ثلاثين سنة، وتركوها خالية من السكان. ويوفّر بستان نخيل صغير نسبياً المورد الطبيعي الوحيد لسعف النخيل التي يستخدم خوصها في تسقيف حظائر البهائم. وتنشأ هذه الحظائر من أعمدة مسبقة الصنع وهياكل سطوح مصنوعة من الفولاذ أو الخشب، توضع عليها الدعون المحبوكة دون إحكام. ولا يلاحظ أي أسلوب عريش مميّز هنا، وإنما استخدام عملي لسعف النخيل لتوفير الظل.

[الصفحة المقابلة] جزيرة صير بني ياس، استخدام سعف النخيل لحظائر الحيوانات في منتزه الحياة الفطرية العربية

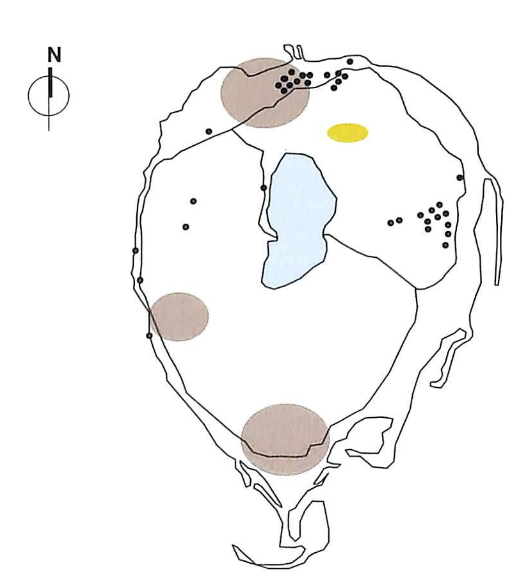
الهجرات الشتوية من ليوا



طريق الارتحال الشتوي من ليوا

الارتحال من جزر الياسات إلى دلما

جزيرة صير بني ياس، والمواقع الأثرية، ومواقع أماكن التوقّف على طرق الارتحال الشتوي بين ليوا ودلما.[6]



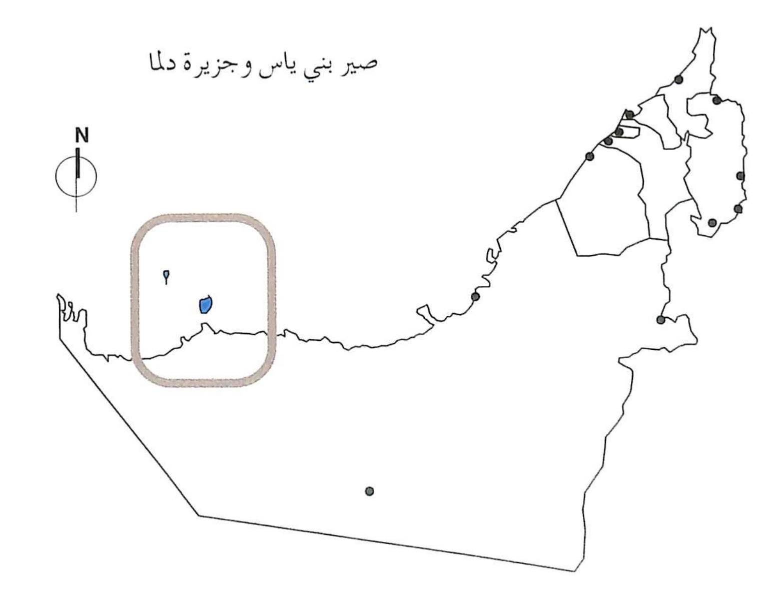
مناطق توقّف البدو على الطريق من ليوا إلى دلما

منطقة جبلية في صير بني ياس

مواقع أثرية في صير بني ياس، وفقاً لكتاب جفري كنغ «المسح الأثري لجزر أبوظبي»

بستان النخيل اليوم

صير بني ياس وجزيرة دلما





جزيرة دلما

[الصفحة المقابلة] شروق الشمس على دلما

من أهم الاكتشافات في جزيرة دلما، في الموقع دا11، نوى التمر والأدلة على استخدام جذوع النخيل في بناء يقدّر عمره بسبعة آلاف سنة. تشكّل هذه الاكتشافات أقدم دليل على تاريخ استخدام النخيل في الإمارات وجنوب شرق شبه الجزيرة العربية. من المدهش أن نعرف أن الجزيرة مسكونة منذ مدّة طويلة، ربما نتيجة لموقعها الجغرافي وتوافر مياه الشرب فيها. بل إن دلما كانت أشهر من جزيرة صير بني ياس في تجارة اللؤلؤ. وقد وصف لورِمر (Lorimer)[7] مواقع ضفاف اللؤلؤ في سنة 1908 ووضع دلما في مركز تجارة اللؤلؤ.

وتجدر الإشارة إلى أن فروع من قبيلة بني ياس – وتحديداً المزاريع والقبيسات جاؤوا إلى دلما من ليوا وما زالوا يقيمون في الجزيرة حتى اليوم.

ذكر الجواهري البندقي غاسبارو بالبي زيارة إلى دلما في سنة 1590، وتقدّم يوميات الملاحين في القرن التاسع عشر روايات عن الجزيرة في عشرينيات القرن التاسع عشر، وسنتي 1829 و1891.

عثر مسح الجزيرة الذي أجراه جفري كنغ في سنة 1992 على ثلاثة مساجد من الفترة الإسلامية المتأخّرة، وقرية، وبيت المريخي الذي جدّدته مؤخّراً هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة وحوّلته إلى متحف مثير للإعجاب. بالإضافة إلى ذلك، تفيد اكتشافات «المسح الأثري لجزر أبوظبي» وجود مقابر، وقرى، وآبار تعود إلى الفترة الإسلامية المتأخّرة.

المواقع الأثرية في دلما

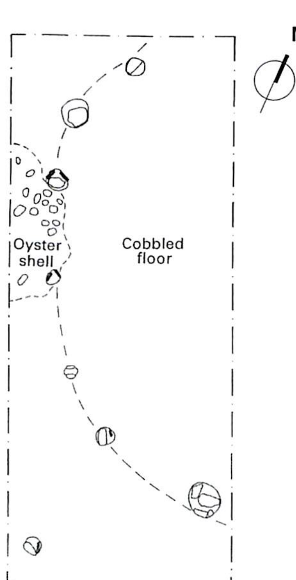
N

1 2 3 كم

الموقع التقريبي لموانئ اللؤلؤ في سنة 1908، وفقاً للورِمر

المواقع الأثرية، وفقاً لكتاب «المسح الأثري لجزر أبوظبي» لجِفري كِنغ، 1992





منزل عمره 7000 سنة كشف عنه الدكتور مارك بيتش وإليزابيت شفرد في الموقع 11 في جزيرة دلما. وهو يقدّم بعض أقدم الأدلّة على المنازل في أبوظبي، والإمارات العربية المتحدة، وجنوب شرق شبه الجزيرة العربية.

كانت المنازل دائرية الشكل ذات أعمدة خشبية تفصل مسافة متر تقريباً فيما بينها، بالحكم على مواقع حفر الأعمدة المتبقية في الرواسب الطبيعية.

عُثر على شقف مكسورة من أوعية جصّية محشوّة في أربع حفر للأعمدة، وكانت تستخدم لدكّ الأعمدة. ويفترض أن العريش كان يلفّ في ذلك الوقت حول هذه الثقوب من الخارج.



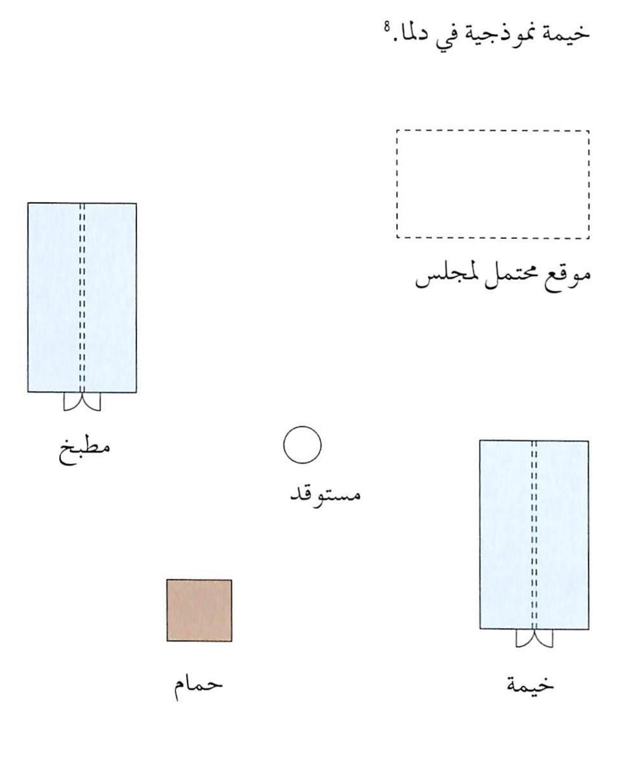
جزيرة دلما – الخيام

كشفت الأبحاث بشأن أنماط البلدات القديمة في دولة الإمارات العربية المتحدة عن أن المنازل في السبعينيات كانت تقام في الغالب في مواقع مساكن العريش السابقة. وتستند المنازل الحالية التي تبنى في جنوب شرق الجزيرة إلى أنماط منازل العريش السابقة أيضاً.

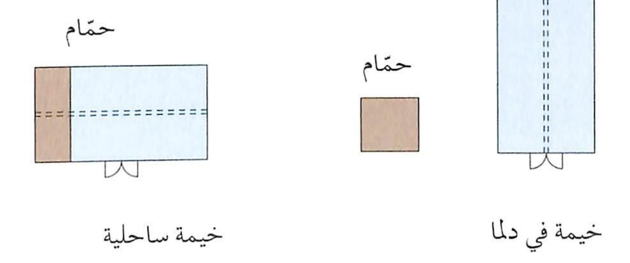
تأثّر المنزل النموذجي ذو السقف المائل ووظائفه المختلفة تأثّراً متنوّعاً بالتجمّعات السكانية المقامة في المناطق الساحلية للخليج وليوا. وكانت الخيمة الواحدة تؤوي وحدة عائلية واحدة. ولم يكن مدخل المنزل من الجدار الطويل وإنما من جانب الجملون، مثل منازل العريش في منطقة ليوا. وكان يقام حوش صغير منفصل خارج الخيمة، على غرار المنازل في ليوا أيضاً. في جميع المناطق الساحلية الأخرى، توجد الحمّامات دائماً داخل الخيام. وربما كان لوجود العائلات البدوية من ليوا بعض التأثير على التنظيم المكاني للمنزل النموذجي في دلما. كانت الخيام تستخدم بمثابة منازل شتوية، وفي الصيف تبني العائلة عريشاً على الشاطئ تنام فيه وتنعم بنسائم البحر. وهذه العُرُش الشاطئية مظلّات مستطيلة بسيطة ذات تباعد واسع بين الخوص للسماح للريح بالنفاذ عبرها. وكانت سعف النخيل السائبة تُنقل إلى دلما من العين عبر أبوظبي أو ليوا، ولاحقاً من مدينة زايد.

اليوم، لم يتبقّ في الجزيرة إلا خيمتان، تقعان عند المنازل الصيفية لعائلة القبيسي في الشمال.

خيمة نموذجية في دلما.[8]



اختلاف مواقع الأبواب والحمامات



سعف النخيل والاقتصاد المحلي

أدّت مباني العريش عدّة وظائف في جميع الإمارات، في الإطار المنزلي، والزراعة، والصناعات المحلية.

ومع التطوّر الاقتصادي وتوافر موادّ البناء الأخرى، أصبح لسعف النخيل استخدامات محدودة الآن. غير أنها تستخدم في أشياء مثل حظائر الحيوانات، ومظلات صانعي القرقور (شبكة صيد). وعلى الرغم من أنها تستخدم في أماكن عادية ومتواضعة نسبياً، فإن المنازل من الداخل غالباً ما تتمتّع بجوّ استثنائي. ويبيّن مخزنان للتمور قرب فندق دلما (الصورة في الصفحة المقابلة)، بنتهما بلدية دلما أصلاً بمثابة قاعتين للأفراح، واحدة للنساء والأخرى للرجال، مقدار جمال الأماكن الداخلية الأخّاذ الذي يمكن صنعه بوسائل بسيطة.

[الصفحة المقابلة] الخيمة الصيفية لعائلة القبيسي، فتحي محمد عبد الله من هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة

[الصفحة المقابلة، أقصى اليسار] مثال رائع على العريش من الداخل: قاعتا أفراح سابقتان حوّلتا إلى مخزنين للتمور





ذكريات ليوا

ولدت سلمى سعيد المزروعي على الطريق بين ليوا ودلما. وهي تحمل ذكريات قوية عن ليوا بحيث قرّرت مع أمها، عتيقة المزروعي، نقل الرمل من ليوا إلى منزلهما في دلما. وكل ليلة في أثناء إقامتهما في دلما، تجلسان خارج البيت في منزل خارجي مفروش بالرمل المجلوب من ليوا. ويأتي الناس إلى هناك عادة للتحادث والاستمتاع بضيافتهما. وكان أحمد غانم المزروعي، من قبيلة تميم، من عرّفني إلى هاتين السيدتين، وقد سعدت بالاستماع إلى قصصهما عن رحلاتهما. ولا تزال ذكرياتهما حيّة عن الماضي الذي تتلهّفان إلى بساطة الحياة فيه. لم تمنعهما مصاعب رحلاتهما من اتباع التنقّلات الموسمية الطقوسية لمدة ستين سنة. في الصيف تسافران عبر أبوظبي إلى ليوا وفي الخريف تعودان لقضاء الشتاء في دلما. كانت هذه الرحلة تستغرق ما يصل إلى الشهر في الماضي: أسبوعان عبر الصحراء بالجمال، وربما أسبوعان آخران إضافيان، تبعاً للرياح، للانتقال من طريف إلى دلما. وقد أفاد أحمد أن والده ربما كان يستغرق ثلاثة أيام للانتقال من صير بني ياس إلى دلما إذا كانت الرياح غير مواتية.

مكّن الحجم النسبي للجزيرة، وانخفاض مستوى النسيج العمراني فيها، وتضاريسها، وقربها من اليابسة سكّانها وزوّارها من إدراك النهار والليل عبر موشور المغيب، وضوء القمر، وشروق الشمس، والارتباط بإيقاع اليوم بوسائل مختلفة كثيراً عن تلك التي يشهدونها في المدن الكبيرة.



السيدة سلمى سعيد المزروعي تصنع حبلاً من ألياف شجرة نخيل

الفجيرة والإمارات الشمالية الشرقية

توجد إمارات شبه جزيرة مسندم الشمالية الشرقية في موقع استراتيجي على طرق التجارة القديمة بين بلاد ما بين النهرين والهند، والصين التي تمرّ عبر الخليج العربي وخليج عمان. وتفخر الفجيرة، وحتّا، ومدينة كلباء، ورأس الخيمة، وأم القيوين، وعجمان بصلاتها التاريخية الغنية بحضارات بلاد ما بين النهرين، واليونان القديمة، وروما. استقرّ الناس منذ أقدم الأزمنة حيث يتوافر الماء العذب، وتصلح الأرض للزراعة وإنتاج الغذاء. وكان ردّهم على المُناخ إنشاء مختلف أنواع الأبنية تبعاً للمواسم، وإقامة مبانٍ مؤقّتة للهجرات الصيفية. وقدّ زرع سكّان هذه المنطقة على مرّ القرون النخيل للغذاء واستخدموا عناصر شجرة النخيل لإنشاء المباني وأغراض الاستخدام اليومي.



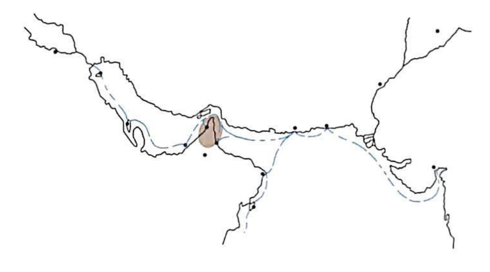
على الرغم من أن شجرة النخيل استُخدمت على العموم مادّة للبناء في جميع أنحاء الإمارات، لم يكن كل بناء مصنوع من سعف النخيل يسمّى عريشاً. فقد كانت المنازل الصيفية تسمّى عريشاً، في حين تسمّى المنازل الشتوية خياماً. مع ذلك فإن بيوت العريش تختلف اختلافاً طفيفاً بين إمارة وأخرى. فيختلف العريش الخيادي الصيفي في رأس الخيمة مثلاً عن العريش الصيفي في حتّا الذي كان مستطيل الشكل ذا جانب مفتوح تماماً. ولا يعرف أصل كلمة عريش على وجه اليقين، لكن ثمة رواية بأنها مشتقة من كلمة «ريشة» لأن سعف النخيل تشبه الريش، لا سيما عندما ترصّ معاً.[9]

إن قصة مباني سعف النخيل حكاية يرويها أناس عاديون. وفي غياب الكتب بالإنجليزية عن الأبحاث الأنثروبولوجية والإثنوغرافية التي تشمل دولة الإمارات العربية المتحدة بأكملها، اعتمدت على المقابلات اعتماداً رئيسياً، وقد التقيت بالعديد من الأشخاص مصادفة في أثناء رحلاتي. وأفضل المباني توثيقاً تلك الموجودة في رأس الخيمة وحتّا، وكانت أعمال فالتر دوستال (Walter Dostal)، وبياتريس دي كاردي (Beatrice De Cardi)، وكريتسيان فِلد (Christian Velde)، وإيمكه مولرنغ (Imke Moellering) في رأس الخيمة ورشاد بوخش في حتّا على درجة عالية من القيمة.

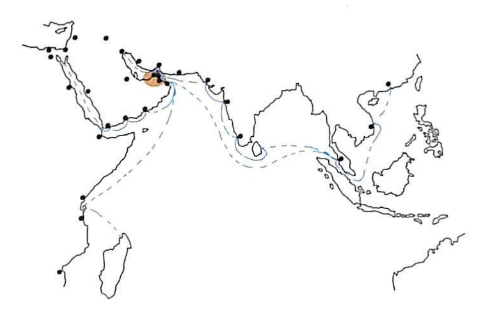
يظل تراث العريش حياً ما دام من يعرفون كيف يرصّون سعف النخيل معاً لإقامة بناء متقن وجميل على قيد الحياة، لكن لم يتبقّ وقت طويل لتسجيل معرفتهم لأن سنّ معظم أساتيذ العريش يتراوح اليوم بين 70 و82 سنة. وأتمنّى من صميم قلبي أن يكون هذا الكتاب أول المبادرات التي تتخذها دولة الإمارات العربية لمتحدة لرعاية ثروة العريش على المستوى الوطني.

الطرق البحرية المعروفة للبحّارة في الخليج والمحيط الهندي

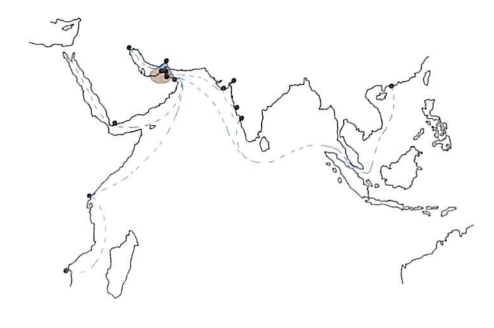
الألفيتان الثالثة والثانية قبل الميلاد



من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الميلادي



الطرق البرتغالية في القرن الخامس عشر الميلادي



الإمارات العربية المتحدة

التضاريس والجغرافيا

تحيط الجبال الممتدّة من اليمن وعمان إلى القسم الشمالي من شبه جزيرة مسندم بالقسم الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية. وهذه الجبال ليست مصدراً للمياه العذبة فحسب وإنما لمواد البناء أيضاً: أي الحجارة. وتتميّز تضاريس الإمارات الشمالية الشرقية بتنوّع غنيّ. تلتقي السفوح الشرقية لجبال الحجر بخليج عمان، وتقابل السفوح الغربية الصحراء. ويحدّ القسم الشمالي من شبه الجزيرة مضيق هرمز الذي يحدّه من الجانب الآخر إيران، ويشكّل المدخل الاستراتيجي للخليج العربي من المحيط الهندي. وكانت هذه الأرض محطّة طبيعية للبحّارة في الطرق البحرية القديمة (انظر الخرائط إلى اليسار).

الطرق التجارية القديمة

تكشف المسوح الأثرية في منطقة الفجيرة وفي المناطق الساحلية من جلفار (رأس الخيمة حالياً) عن وجود تبادل للسلع مع بلاد ما بين النهرين في الألفية الثالثة قبل الميلاد. وقد تكيّفت الأجيال اللاحقة من التجّار مع الطرق التجارية وشنّت حروباً من أجل الاستيلاء على المعاقل والحصون. وأدى مجيء البرتغاليين إلى ما يعرف برأس الخيمة اليوم في القرن الخامس عشر إلى وضع الإمارات على الطرق التجارية مع بلدان بعيدة تصل إلى الصين. وكان للوضع في تلك الطرق البحرية القديمة تأثير عظيم على الاستيطان البشري في هذه المناطق الشمالية والشرقية.



الآثار

هناك أدلة أثرية في جميع أنحاء شبه جزيرة مسندم على وجود منطقة مأهولة حيوية ترجع إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد. وتذكر نصوص بلاد ما بين النهرين التي كتبها البابليون والسومريون والأكاديون أن النحاس كان يستورد من مجان عبر دلمون. وقدّ حُدّدت دلمون أنها البحرين اليوم وشرق شبه الجزيرة العربية ويوافق معظم علماء الآثار على أن مجان تضمّ الأجزاء الجنوبية والشرقية من شبه جزيرة مسندم، أي الإمارات العربية المتحدة وعمان اليوم. وكانت مجان تصدّر النحاس وأحجار الديوريت إلى بلاد ما بين النهرين وتستورد الأغذية والأقمشة من البابليين.

تشبه الفخاريات والقبور المكتشفة في المواقع الأثرية في إمارة الفجيرة، مثل البدية، تلك الموجودة في شِمل (رأس الخيمة اليوم)، والقطّارة في العين، وأم القيوين. ماذا يبلغنا التاريخ عن شجرة النخيل؟ من المعروف أن التمر يؤكل في شبه الجزيرة منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد. وتؤكّد الرسوم من القرن الخامس أن سعف النخيل استُخدمت في المناطق الساحلية في العمارة، وأن الشكل الغالب هو الخيمة، وأن الناس في وسط شبه الجزيرة استخدموا الخوص لبناء المنازل الصيفية. وقد استمرّت الهجرة الصيفية إلى الواحات الداخلية، وهي هجرات تقليدية في جميع الإمارات الشمالية الشرقية، حتى ثمانينيات القرن العشرين، عندما توقّفت هذه العادة. ويرجع ذلك من جهة إلى أن إمدادات الماء في الأودية تضاءلت نتيجة تغيّر المناخ، ومن جهة أخرى إلى التطوّر الاقتصادي الذي سمح للناس بالانتقال إلى أماكن بعيدة، وحتى إلى الخارج، هرباً من الحرارة والرطوبة الشديدتين للساحل.



[الصورة العلوية] جبال الحجر

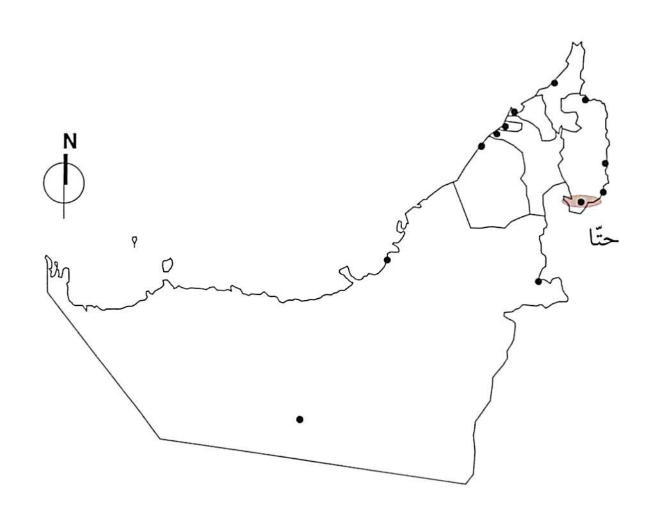
[فوق] علي حسن آل علي، فلج المعلا، أكتوبر 2009



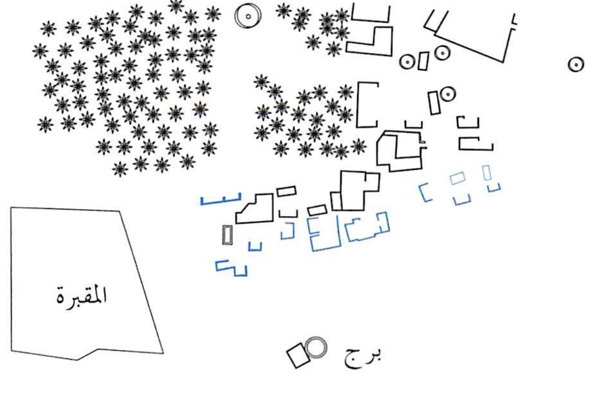
توجد حتّا في وادٍ في جبال الحجر، وتتزوّد بمياه وفيرة من الأفلاج والأودية والينابيع، بالإضافة إلى الأمطار الموسمية. وقد أتاح موقعها في الوادي وتوافر المياه شروطاً مثالية لسكنى البشر وزراعة النخيل، والمحاصيل، والفاكهة، والخضراوات في فصل الصيف. ووفّر مناخها المحلي الفريد إمكانيات لزراعة ضروب نادراً ما توجد في دولة الإمارات العربية المتحدة، مثل النغال والأنوان، بالإضافة إلى التبغ، إلى ما قبل عشرين سنة مضت. وهناك متجر مجدّد من العريش لبيع التبغ في قرية حتا اليوم.

تشير الأدلة إلى أن أولى المستوطنات في حتّا ترجع إلى ثلاثة آلاف سنة مضت. وقد جعلتها أرضها الخصبة ومياهها العذبة محطة مثالية على الطرق التجارية في جبال الحجر. وكانت حتّا تصدّر التبغ، والتمر، والعسل، والزبد، والخراف، مقابل سلع مثل الطحين، والأرز، والقهوة، والسكر.

ويدين أهل حتا بالولاء إلى آل مكتوم وتتبع إمارة دبي.



مدينة حتّا القديمة في سنة 1990 (قبل أن تجدّدها بلدية دبي ثانية)

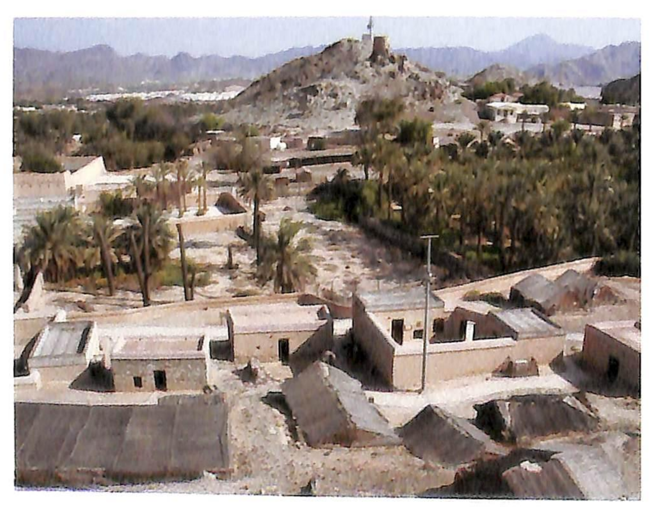


مبانٍ يستخدم العريش لتغطية سطوحها

قرية حتّا القديمة

قرية حتّا القديمة نموذج مثالي لقرية عمرها مئتا سنة. وهي مستوطنة متجانسة وتضم جميع المعالم، من حصن، ومجلس، ومنازل، ومتاجر، وبرجين، وبساتين، وأفلاج قريبة، ومسجد، ومقبرة. وكان الشيخ راشد آل مكتوم كثير التردّد على حتّا ويحظى بالترحاب من أهلها الذين ما زالوا يتحدّثون عنه بمحبة باعتباره حاكماً يرعى رعيّته، ويعطيهم الأرض والآلات – وكل ما هو مطلوب لطريقة الحياة المستدامة. وقد اختار الشيخ راشد زعماءها القبليين من عائلتي بن حمد وبن غالب. والقبائل التي تعيش اليوم في حتّا هي الهاشمي، والبدواوي، والمقبالي، والكلدي، والمطوع.

أنجزت بلدية دبي ترميم قرية حتّا بقيادة رشاد محمد بوخش، مدير إدارة المشاريع العامة. وقد نفّذ هذا العمل المثير للإعجاب على مرحلتين. بدأت المرحلة الأولى في السنوات 1993—1995، واكتملت المرحلة الثانية في سنة 2001.



قرية حتّا التراثية، أكتوبر 2009

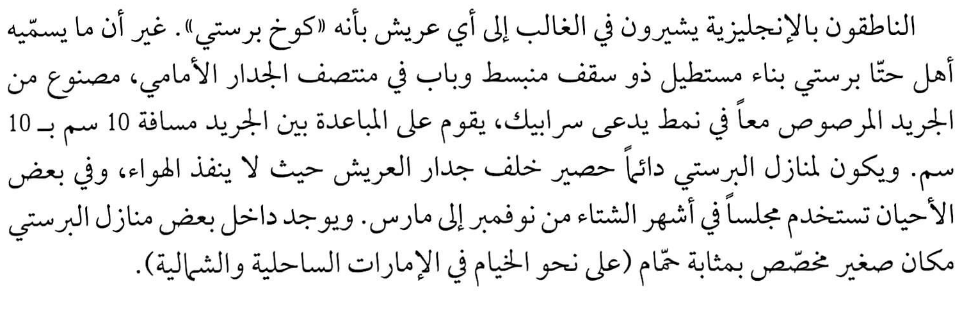
أنماط منازل حتّا

لأنماط المنازل في كل أنحاء الإمارات أسماء خاصة بالمناطق، حتى تلك التي تبنى من سعف النخيل فحسب. فيما يلي أنماط المنازل الخاصة بمنطقة حتّا.




العريش

منزل صيفي يسمح للهواء بالدخول. وينشأ من الجريد أساساً ويباعد فيما بينها كثيراً (ما يصل إلى 10 سنتيمترات) على مستوى الأرض للسماح للهواء بالنفاذ. ويمكن أن يكون السقف مائلاً قليلاً أو منبسطاً. يتميّز بأن واجهته تكون مفتوحة بأكملها. ليس لمباني العريش أبواب. وتبنى مبان متشابهة في الواحات الجبلية تقيم في كل منها عائلة واحدة في أثناء الهجرات الصيفية لجمع الرطب. ولا يزال هذا النمط من العريش مستخدماً في جبال الفجيرة بمثابة منازل صيفية للعائلات التي تواصل تقاليد الهجرة الصيفية.



البرستي

الناطقون بالإنجليزية يشيرون في الغالب إلى أي عريش بأنه «كوخ برستي». غير أن ما يسمّيه أهل حتّا برستي بناء مستطيل ذو سقف منبسط وباب في منتصف الجدار الأمامي، مصنوع من الجريد المرصوص معاً في نمط يدعى سرابيك، يقوم على المباعدة بين الجريد مسافة 10 سم بـ 10 سم. ويكون لمنازل البرستي دائماً حصير خلف جدار العريش حيث لا ينفذ الهواء، وفي بعض الأحيان تستخدم مجلساً في أشهر الشتاء من نوفمبر إلى مارس. ويوجد داخل بعض منازل البرستي مكان صغير مخصّص بمثابة حمّام (على نحو الخيام في الإمارات الساحلية والشمالية).



الخيمة

الخيمة في الإمارات السبع كافّة بناء ذو سقف مائل، تستخدم بمثابة منزل شتوي وتنشأ بأكملها من سعف النخيل المحبوكة معاً بحيث لا تسمح للريح الباردة أو الرطوبة بالدخول. في الخيم التقليدية، بما في ذلك الموجودة في حتا، ينشأ هيكل السقف دائماً من شبكة من سعف النخيل المستندة إلى عارضة من خشب النخيل أو الجندل. ويغطّى السقف بالحصير والقار أحياناً قبل وضع الطبقة الأخيرة من الدعن. ويمكن أن تغطى الجدران الداخلية بالحصر، تبعاً لتوافر المواد ومكانة العائلة.



الكدا

توفّر المناطق الجبلية مصدراً متنوّعاً لمواد البناء، لا سيما الحجارة. تبنى جدران الكدا من الحجارة، وتغطى بسعف النخيل. وكانت تستخدم بمثابة مخازن أو بيوت للأسر. وتوجد الكدا في مناطق قصر الحيل في إمارة الفجيرة، إلى جانب حتّا.

قرية حتّا التراثية، أساليب مختلفة لمنازل سعف النخيل، تسمّى (من أعلى إلى أسفل) عريش، برستي، خيمة، كدا، أكتوبر 2009



الخوص
سعف النخيل مع أوراقها

سرابيك
أسلوب لتوصيل سعف النخيل معاً، مع المباعدة بينها 10 سم بـ 10 سم

الحصير
يصنع بحبك أوراق النخيل معاً

الحبل
الجمع بين سعف النخيل الموصولة معاً بطريقة السرابيك والحصير المثبت خلفها يسمّى برستي في حتّا.

أنماط حياكة سعف النخيل في حتّا

أسماء محلية لبعض أنماط سعف النخيل.

رأينا أن العمارة بسعف النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة تقسم إلى منازل صيفية ومنازل شتوية. في حين أن للمنازل الشتوية جدراناً مصنوعة من سعف النخيل المرصوصة معاً بإحكام، فإن للمنازل الصيفية عادة جدراناً وسقوفاً ذات طبقة منفذة تسمح بمرور الريح إلى الداخل. ويضفي استخدام طبقات وتوصيلات قليلة الكثافة وغير محكمة النسج، إلى جانب أشعة الشمس، جواً رائعاً على الحيّز الداخلي البديع.

البرتغاليون والخيام – الإمارات الشرقية والشمالية

في سنة 1498 وصل المستكشف البرتغالي فاسكو دي غاما (Vasco de Gama) إلى شواطئ جلفار (رأس الخيمة اليوم) بحثاً عن ملاّح يرشده في طريقه إلى المحيط الهندي الغربي. وكان محظوظاً بالعثور على الملاّح العربي الشهير أحمد بن ماجد واستفاد منه.

تظهر رسوم ترجع إلى سنة 1635 (معروضة أدناه) المعاقل البرتغالية بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر. فقد استولى البرتغاليون على جميع الموانئ الرئيسية، وسيطروا بعد استسلام هرمز ولاحقاً البحرين، على النقل البحري في الخليج حتى القرن الثامن عشر. اندثرت الحصون التي أقامها البرتغاليون، لكن رسوماً من القرن السابع عشر تظهر شكلها المعماري وموقعها ضمن واحات النخيل، تحيط بها خيم العريش. وقد بقي هذا النمط من العريش، بما في ذلك الموقع المماثل للأبواب، لمدة ثلاثمئة سنة بعد ذلك. وتظهر الصور الملتقطة لبلدات الإمارات في سنة 1935 الخيام في جميع المدن الساحلية.



كلباء، نحو سنة 1635. الصورة الأصلية من الأرشيف البرتغالي الشرقي

الفجيرة

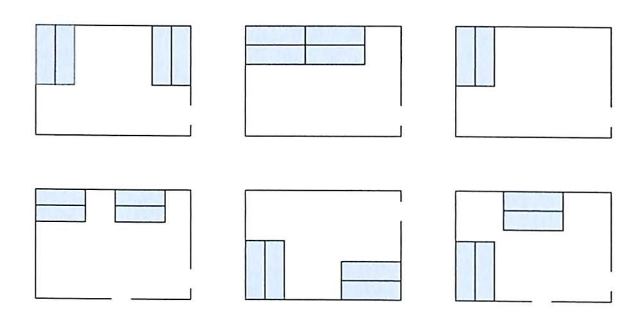
لإمارة الفجيرة موقع جغرافي فريد على خليج عمان، وتجتذب الكثير من السيّاح حديثاً بسبب تجاور الجبال والبحر، إلى جانب توافر العديد من الأودية الجميلة المزروعة بالنخيل.

قلعة الفجيرة

بنيت قلعة الفجيرة بين سنتي 1500 و1550 بمثابة مقرّ لحكّام الفجيرة، المتحدّرين من قبيلة الشرقيين الذين تعود أصولهم إلى اليمن. وقد دمّرها البريطانيون في سنة 1925 في أثناء الكفاح لنيل استقلال الفجيرة، لكن المملكة المتحدة اعترفت بها باعتبارها من دول الساحل المتصالحة في سنة 1952.

شيّدت القلعة من الصخور والجص، وكانت تحيط بها قرية صغيرة مكوّنة من منازل شبيهة بالخيم، تسمّى «كرين»، يؤوي كل منها عائلة واحدة. وهي تتميّز بالجدران المصنوعة من اللبن، وبسقف مصنوع من سعف النخيل. وكان سقف الكرين يصنع في الأصل من العريش (كما في الخيم التقليدية) ويغطّى بالدعن. وتشارك القرية بأكملها في صناعة الدعن. وتستخدم الأنماط المعيارية نفسها لمخازن الأغذية أيضاً، ويختلف في أن البناء بأكمله غائر نحو متر في الأرض. وكان هذا النمط من مخازن الأغذية يسمّى حامية.

موقع منازل الكرين داخل سياج البيت الواحد



منازل الكرين في قلعة الفجيرة، سبتمبر 2009



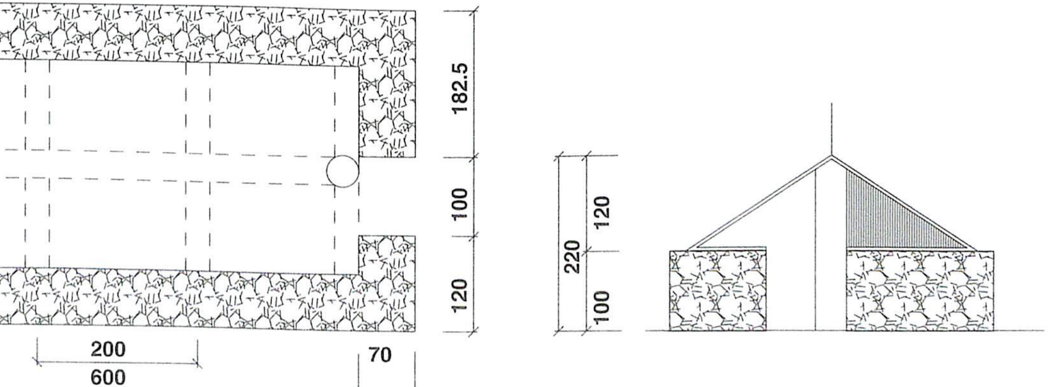
[فوق] قصر الحيل في أحد أجمل المواقع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وادي الحيل.

[الصفحة المقابلة] قلعة البثنة

قصر الحيل، وادي الحيل

يوجد قصر الحيل في أحد أجمل الأصقاع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو جوهرة حقيقية من القرن التاسع عشر وأحد أكثر المواقع التاريخية جاذبية في البلاد. ويقع تحديداً في وادي الحيل في جبال الحجر، وتحيط به واحة من نخيل. بني في سنة 1830 ليكون مقرّاً لأسرة الشرقي، حكّام إمارة الفجيرة، وهو يتكوّن من قصر، ومجلس، ومسجد، وبرج، وسلسلة من منازل الكدا المبنية من الحجارة المسقوفة بسعف النخيل على نحو شبيه بالخيمة.

وقد قامت إدارة الآثار والتراث في الفجيرة بترميم القصر في السنوات الأخيرة.



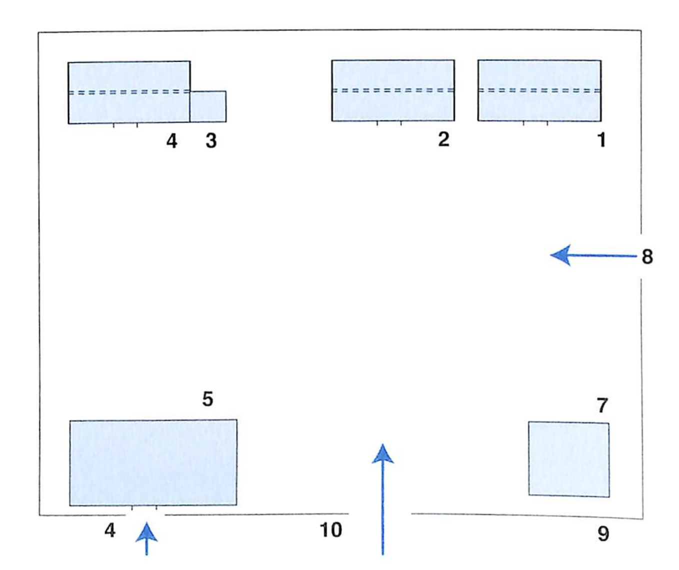
مخطط ومقطع رأسي لمنازل الكدا في قصر الحيل (المقاسات بالسنتيمترات)

قلعة البثنة

تقع قلعة البثنة في وادي حام بجوار مجرى نهر جافّ، وتحيط بها قرية يبلغ عمرها ثلاثمئة سنة. كان سكّان قرية البثنة قبائل مستقرّة، لا تشارك في الهجرات الموسمية إلى الساحل لأن الغذاء متوافر على مقربة. وكان أفراد قبائل البثنة يسافرون بين الحين والآخر إلى دبي لبيع التمر مقابل القماش والتوابل. وكان هناك نهر، ومجال للحصول على الأسماك، وتمر من بساتين النخيل القريبة، كما كانت تتساقط كمّيات كافية من الأمطار، حتى ثمانينيات القرن العشرين على الأقل، تسمح بريّ المحاصيل الناجحة من الفاكهة والخضراوات، مثل البطيخ، والبابايا، والحمضيات. وكان بعض المقيمين في قلعة الفجيرة يأتون إلى البثنة في الصيف. العائلات القبلية التي تعيش في البثنة هي المزروعي (أصلهم من رأس الخيمة)، والكندي (اليمن)، والكعبري (إيران)، والصريدي (عمان)، والبريكي (عمان)، والحمودي (إيران)، والزحمي (الإمارات)، والحفيتي (جبل حفيت، العين)، وينتمي زعماؤهم القبليون إلى عائلة الزحمي.

كانت منازل الكرين العمارة النموذجية في القرية إلى أن بدأ بناء البيوت الجديدة في سبعينيات القرن العشرين مكان البيوت القديمة تماماً. وتكرّر نمط مماثل لإنشاء الديار في جميع أنحاء الإمارات، وغالباً ما تتيح هذه المباني المتواضعة ذات الدور الواحد التي تعود إلى السبعينيات فهم التنظيم المكاني لديار العريش الأصلية.

كانت زراعة النخيل، والمحاصيل، وتربية الماعز العمل التقليدي في المنطقة قبل الثورة الاقتصادية. ينهض الرجال في السادسة صباحاً، فيتناولون الفطور قبل بدء العمل، ويعودون من الحقول في الثانية عشرة ظهراً تقريباً.[10]



منزل اليماحي – منزل أسرة نموذجي في قلعة البثنة

1 مكان للأم والأب والأطفال الصغار (سقف مائل)

2 الأولاد الكبار (سقف مائل)

3 حمّام

4 مطبخ (سقف مائل)

5 مجلس للرجال (عريش منبسط السقف)

6 مدخل خارجي للمجلس

7 حظيرة للحيوانات

8 مدخل (باب)

9 سياج من العريش

10 مدخل العائلة الرئيسي



أمثلة على العمارة الساحلية بسعف النخيل في دبا وكلباء، على خليج عمان، سبتمبر 2009

أنماط العريش الفريدة في المنطقة

استُخدم العريش مادّة لأنماط متنوّعة من المباني، بما في ذلك المنازل، والمطابخ، وحظائر الحيوانات، والمخازن، والمجالس، وسقائف الصيّادين، والمدارس. وكان التعليم في معظم قرى الإمارات قبل الاتحاد يتمّ في منزل أو كتّاب من العريش ويضطلع به معلّم يدعى المطوّع. يعلّم المطوّع القرآن، والعربية، وأسس الحساب. ولم يكن الأهل يدفعون مقابل الدروس نقداً وإنما بتقديم الطعام للمطوّع، مثل البيض والفاكهة. وكانت هناك فصول دراسية منفصلة للصبيان وأخرى للبنات. وفي بعض القرى كان المطوّع يساعد المجتمع بأداء دور الطبيب.

كانت طريقة توصيل العريش في المدرسة فريدة في الإمارات الشرقية والشمالية – لم تسجّل على الإطلاق في إمارة أبوظبي مثلاً. تستخدم سعفة النخيل بأكملها لبناء الجدار، بما في ذلك قسم السعفة الذي يحتوي على الأوراق والقسم الذي لا يحتوي عليها. وتسمح هذه الطريقة للهواء بالدخول على مستوى الأرض، بحيث تعمل بمثابة أداة تهوية طبيعية. غير أن هذا النمط العام للعريش لا يزال مستخدماً في منطقة رأس الخيمة اليوم. ولم يلحظ وجوده في إمارة الفجيرة في قرية الفجيرة التراثية (انظر ص 147).

الاستخدام اليومي لسعف النخيل

العريش النموذجي في إمارة الفجيرة والجبال الساحلية الشرقية منزل صيفي تنشئه العائلة في بستان النخيل في أثناء فترة الهجرة الصيفية. وكان مستطيل الشكل ذا سقف منبسط، ويترك أحد جوانبه مفتوحاً تماماً. لا يزال عريش واحد مستخدم في أثناء قطاف الرطب في أشهر الصيف الثلاثة. ويوجد في قرية حجر بني حميد في وادي مذاح (تحت الحكم الإداري لعمان).

يظهر حبّ العريش في المنطقة في الاستخدام اليومي للعريش بمثابة مظلات لمواقف السيارات، وجميع أنواع المظلات، وأهم المباني المدنية على الإطلاق، أي المجلس. للمجلس دور اجتماعي مهمّ في جميع الدور، وهو المكان الذي يحفظ العلاقات في المجتمع ويرعاها منذ قرون. وفي التضاريس الفريدة للمنطقة، يستطيع المرء القول إن المجلس «غرفة ذات مطلّ». وتتوجّه جميع المجالس المسجّلة نحو منظر جميل، سواء أكان بساتين نخيل، أم جبلاً، أم بحراً، وكثير منها تحتوي على كراسٍ أو وسائد يجلس عليها الزوّار ويتأمّلون جمال المناظر الطبيعية.

رأس الخيمة

يمكن تقسيم جغرافية رأس الخيمة إلى ثلاث مناطق متميّزة: سلسلة الجبال، والسهل الساحلي، والسهل بين الجبال والساحل، وهو المعروف باسم سهل جري. وتثبت واحات النخيل في سهل جري والمكتشفات الأثرية في مستوطنات شِمل أن النخيل استُخدم لأغراض منزلية قبل أربعة آلاف سنة. وكان سكّان رأس الخيمة مستقرّين إذ يمكن الوصول إلى المياه العذبة، والغذاء وساحل الخليج. غير أن الهجرات الصيفية ملحوظة في هذه المنطقة. كما أن المنطقة معروفة بتربية الحيوانات وزراعة الخضراوات، في حين أتاحت الأمطار الموسمية المعتدلة فرصاً لزراعة المصاطب.

منزل في منطقة غليلة
برأس الخيمة



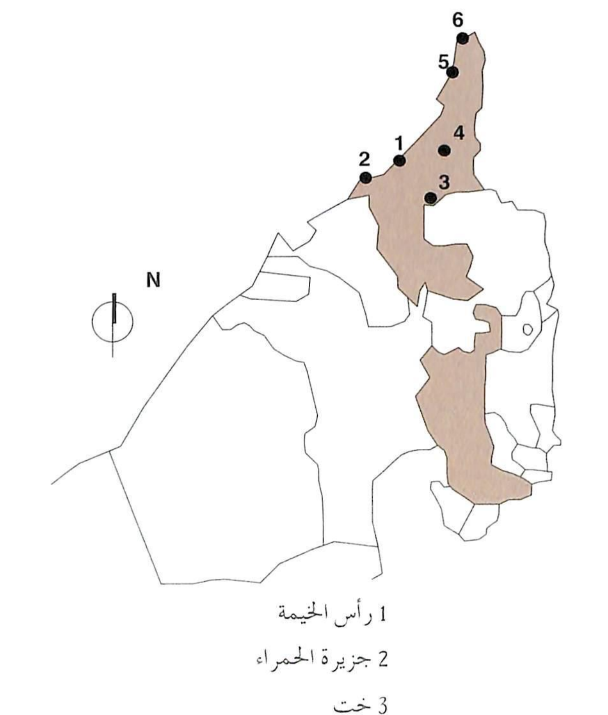
الآثار والإثنوغرافية

اكتُشفت الفخّاريات من ثقافة العُبيد، التي ازدهرت بين القرنين والسادس والرابع قبل الميلاد، في قبور وادي حقيل. وتثبت مكتشفات أثرية أخرى في شِمل وغليلة وجود حضارة متقدّمة منذ الألفية الثانية قبل الميلاد. ورأس الخيمة هي الإمارة الأكثر توثيقاً من حيث الآثار والإثنوغرافية. وقد خلّفت بياتريس دي كاردي وفالتر دوستال، اللذان نشطا في سبعينيات القرن العشرين، كمّاً كبيراً من العمل الذي تابعته د. آن كولز (Anne Coles) وعلماء آثار مثل كريتسان فِلد وإيمكه مولرنغ.

كانت جلفار أقدم مستوطنة شهيرة على ساحل رأس الخيمة. وتصف النصوص العربية والفارسية من القرن السابع ميناء جلفار. كانت المدينة تفخر بثروتها التي كسبتها من تجارة اللؤلؤ. وقد بنى البرتغاليون قلعة في جلفار، لكنها اختفت مع المدينة للأسف. بدأت الحفريات الأثرية في جلفار في السبعينيات، ونتج عنها العثور على فخاريات من القرون الحادي عشر والرابع عشر والخامس عشر (منها خزفيات صينية)، بالإضافة إلى أدلة على استخدام جذوع النخيل وسعفه في المنازل منذ القرن السادس عشر. وكانت سعف النخيل تثبّت داخل الأرض لدعم الجدران، في حين أنها كانت تدعم في السابق بالحجارة على مستوى الأرض دون أن تغور داخلها.

في الوثائق التي جمعها العالم الإثنوغرافي النمساوي فالتر دوستال في السبعينيات، يمكننا تمييز الخيم، والمباني التي تشبه خيم العريش، وتسمّى أيضاً خيماً، ومنازل الكرين (وهي شبيهة بتلك التي تشاهد في قلعة الفجيرة). وقد استخدم الدعن في جميع المباني الحجرية أو الطينية لتشكيل السقف فوق عوارض خشب النخيل أو الجندل، بما يشبه تلك المنازل الموجودة في القلاع في جميع أنحاء الإمارات.







خريطة بلدة وميناء رأس الخيمة في سنة 1819

[الصفحة المقابلة] إمارة رأس الخيمة، من يمين الخريطة بعكس اتجاه عقارب الساعة، قلعة ضاية، ووادي غليلة، ومنطقة ينابيع خت، 2009



الخيمة

الخيمة عريش ذو سقف مائل. تقيم عائلة واحدة في الخيمة عادة، وينشأ هيكلها من ثمانية أعمدة من خشب الجندل في المتوسّط، وعارضة واحدة تحمل السقف المائل. تصنع الجدران من سعف النخيل المرصوصة بإحكام مع أوراقها، وتربط معاً بأربع عشرة أو خمس عشرة دعامة من العريش الأفقي، ويبلغ طول كل منها 1.8 متر. ويوجد عند الزاوية العلوية نحو واحد وعشرين وصلة أفقية، ما يمنح المبنى ارتفاعاً إجمالياً يبلغ نحو 2.6 متر. وعدد هذه الوصلات الأفقية هو الذي يحدّد إذا كان البناء خيمة أو عريشاً في إمارة رأس الخيمة.

كانت الخيم التقليدية منازل شتوية يصنع هيكل سقفها من الجريد المغطّى بالحصير والقماش. وكانت الجدران من الداخل تبطّن بالحصير أو الحصير الملوّن المستورد من مصر أو إيران. وتوجد منطقة صغيرة داخل الخيمة منفصلة عن سواها بجدار منخفض، وتستعمل للاغتسال. ويشكّل الرمل أو التراب أو الحصير الأرضيّة. وللخيم التقليدية باب واحد من دون نوافذ.






خيمة في نادي رأس الخيمة الثقافي؛ عبد الله الصرومي (تحت وإلى اليسار؛ وإلى اليمين مع خميس رشيد حسن)، أكتوبر 2009



عريش مقصّص، نادي رأس الخيمة الثقافي

العريش المقصّص

العريش المقصّص والخيادي مثالان رائعان على تطوّر حرفة العريش وشكله المعماري. وهذا النمطان من البناء فريدان في منطقة رأس الخيمة ولا يزال السكان المحليون ينشئونهما حتى اليوم باستخدام الأساليب التقليدية. ويستخدم هذان الأسلوبان للعريش منذ أجيال. وهما يمثّلان استجابة معمارية للمُناخ، ويجسّدان الاستدامة في العمارة المنزلية. الاختلاف الرئيسي بين العريش المقصّص والخيادي أن المقصّص منزل شتوي (يكون العريش كثيفاً ومحكم الرصّ) والخيادي منزل صيفي (توجد مباعدة بين العريش ما يسمح للنسيم بالدخول). وثمة قواعد محدّدة للإنشاء موضّحة في الصفحة التالية.



العريش المقصّص

الموسم والاستخدام	منزل شتوي لعائلة واحدة
الجدران	للجدران ثماني دعامات أفقية (1–8) ودعامة أفقية واحدة داخل البناء (1أ)، وثلاث دعامات أفقية خارجية (سعفتا نخيل) مرتبطتان معاً بحبل (وصلة مزدوجة)
خوص الجدران	كاملة، ومشذّبة في الأعلى
الحمّام	داخلي ذو جدار منخفض مماثل للجدار الخارجي
السقف	دعن على عوارض من خشب الجندل
الفتحات	باب واحد، من دون نوافذ
الحجم	الطول 6,9 م، والعرض 3,4 م، والارتفاع 3,15م، 1 م X 3,4 م
مبني من قبل	العائلة (بمن فيهم الأطفال)



تحليل مقارن للعريش المقصّص والعريش الخيادي مع التباينات في إنشاء الجدران.

نادي رأس الخيمة الثقافي

العريش الخيادي

الموسم والاستخدام	منزل صيفي لعائلة واحدة
الجدران	للجدران خمس دعامات أفقية على جانبي الجدار الخارجي والداخلي، (سعفتا نخيل) مرتبطتان معاً بحبل (وصلة مزدوجة)
خوص الجدران	كاملة، غير مشذّبة في الأعلى
الحمّام	داخلي ذو جدار منخفض مماثل للجدار الخارجي
السقف	هيكل من سعف النخيل يسمّى محلياً «نشخ» مغطى بالحصير
الفتحات	باب واحد من دون نوافذ
الحجم	الطول 6,9 م، والعرض 3,4 م، والارتفاع 3,15م، 1 م x 3,4 م
مبني من قبل	العائلة (بمن فيهم الأطفال)

جزيرة الحمراء والمنزل النموذجي في منطقة شِمل

جزيرة الحمراء هي آخر بلدة تقليدية أصيلة لا تزال قائمة في دولة الإمارات العربية المتحدة. كان سكان هذه الجزيرة يعيشون على الأنشطة البحرية وتجارة اللؤلؤ قبل هجر البيوت. وتظهر جزيرة الحمراء جميع عناصر البلدة التقليدية، بما في ذلك قلعة للدفاع، وسوق صغيرة، وعدة مساجد، ومساكن متنوّعة.[11]

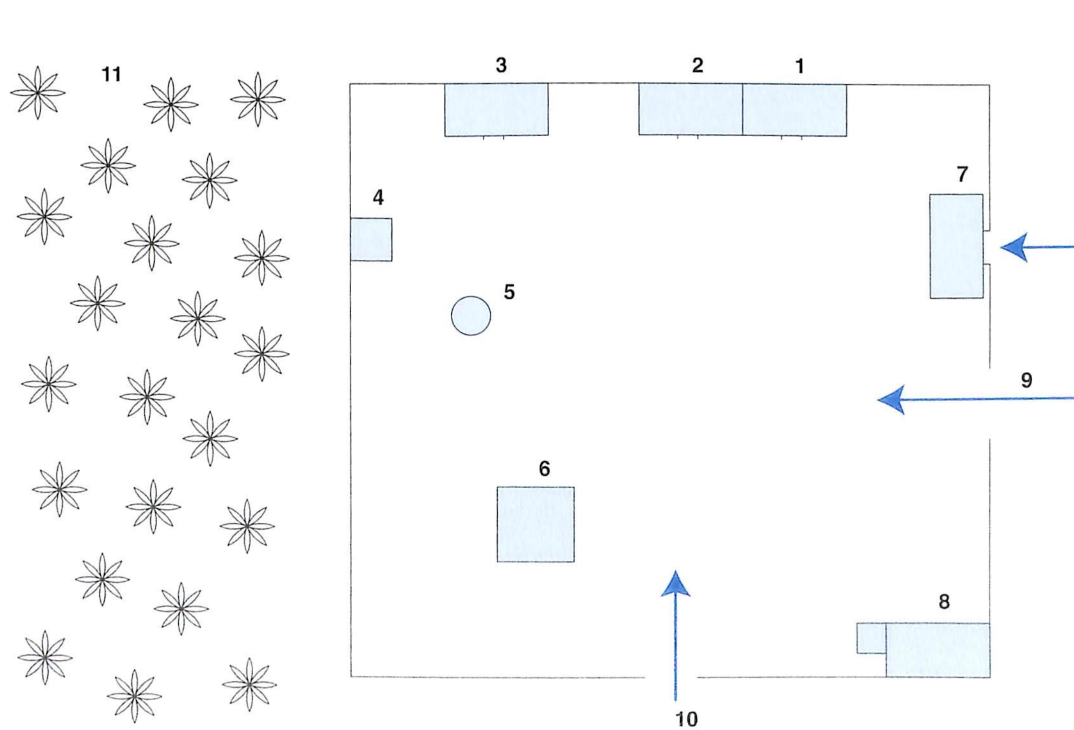
تجسّد جزيرة الحمراء طول عمر العريش على نحو مثالي. ونظراً إلى أن قبيلة الزعابي هجرت القرية في ستينيات القرن العشرين، فقد تدهور وضع معظم المساكن، مع ذلك فإن حصر العريش جميلة النسج التي تشكّل جزءاً من السقف لا تزال على حالها بعد نحو خمسين سنة من تعرّضها لمختلف العوامل، ما يثبت أن لهذه المادّة عمراً مماثلاً لعمر الخرسانة على الأقل.

كان الزعاب صيادين ومن القبائل القليلة جداً في رأس الخيمة التي تشارك في الهجرة الصيفية لجني الرطب. وبعد الانتقال إلى قرية الخت، تنشئ القبيلة بأكملها عرشاناً للصيف. يقطع العريش من الشجر ويترك ليجفّ، ثم ينقع في الماء لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، وبعد أن يجفّ قليلاً يستخدم للإنشاء. يستغرق بناء المسكن نحو يوم. وخلال الطقس القائظ تنام العائلة بأكملها في الخارج على فراش من العريش يسمّى منامة، يرتفع متراً عن الأرض أو نحو ذلك.[12]

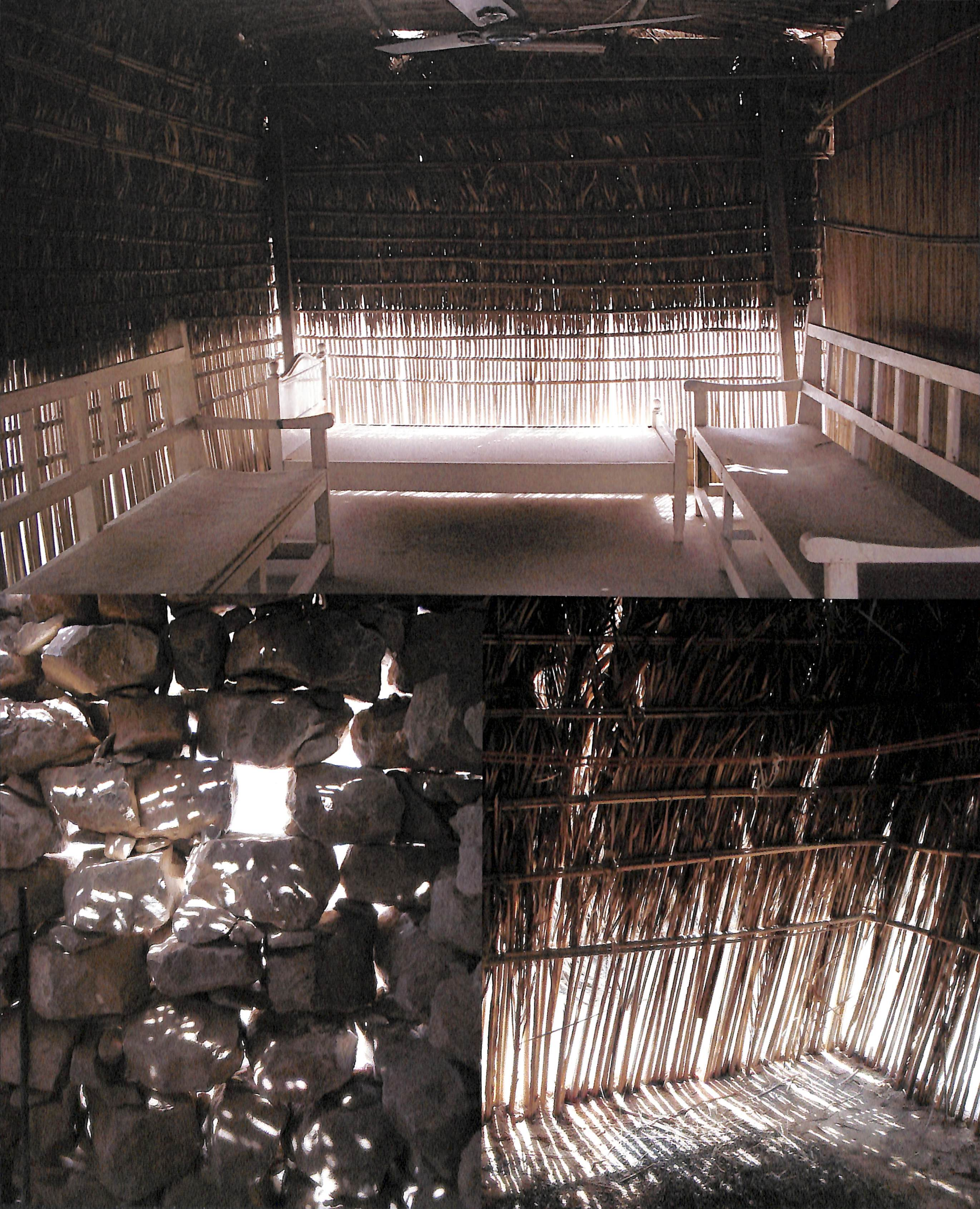
[الصفحة المقابلة فوق] واحد من مجالس العريش المقصص القليلة الأصيلة المتبقية في منطقة شمل

[الصفحة المقابلة تحت] عريش خيادي ومنزل من الحجر

منزل الصرومي في شِمل (رأس الخيمة)[13]



1 مسكن لعائلة واحدة (مع الأطفال)
2 منزل للجدّ والجدة
3 منزل لعائلة واحدة (مع الأطفال)
4 حمّام
5 بئر
6 مطبخ
7 مجلس للرجال (ذو مدخل منفصل)
8 منزل للعمّ مع عائلته
9 مدخل
10 مدخل
11 واحة نخيل



أم القيوين

يتناثر عدد من الجزر الصغيرة على ساحل الخليج العربي، بعضها يحتوي على مياه صالحة للشرب، ومن ثم يلائم سكنى البشر. وفي العديد من الحالات، تكون الجزر محاطة بالقرم الذي تشكّل حيواناته ونباتاته مصدراً للغذاء. لإمارة أم القيوين نمط فريد من الجزر والقرم في الشمال. ويربط سهل الشمال الصحراوي بالمناطق الصخرية عند أسفل جبال الحجر في الجنوب.

ساحل أم القيوين



الآثار والمدينة

اكتشفت مؤخّراً بعثة أثرية فرنسية إلى جزيرة عقاب في أم القيوين واحداً من أقدم الأماكن الدينية في شبه الجزيرة العربية، يرجع إلى الفترة الممتدة بين سنتي 3500 و3200 قبل الميلاد، بالإضافة إلى موقع طقوسي من العصر الحجري الحديث مخصّص لثديي بحري، ناقة البحر. ووفقاً لتقارير في مجلة «إنترناشيونال ريفيو أوف أنتكوتي» (*International Review of Antiquity*)، كانت عقاب قرية لصيد السمك بين سنتي 4700 و4100 قبل الميلاد، على غرار القرى الأخرى المقابلة لساحل أم القيوين. وتوفّر مكتشفات أثرية برية أخرى في موقع «الدور» أدلة على حضارة ترجع إلى فترة أم النار (الألفية الثالثة قبل الميلاد)، وقد تطوّرت على مرّ القرون لتصبح من أكبر المستوطنات الرومانية في المنطقة. وقد أفاد عالم الآثار كريستيان فِلد بأن ملاحظات كارل فيليب عن أن 80 في المئة من منطقة موقع الدور كانت فارغة، باستثناء البيوت التي كشف النقاب عنها، توحي بأنه كان يوجد في الأصل منازل من سعف النخيل بين المباني الحجرية.

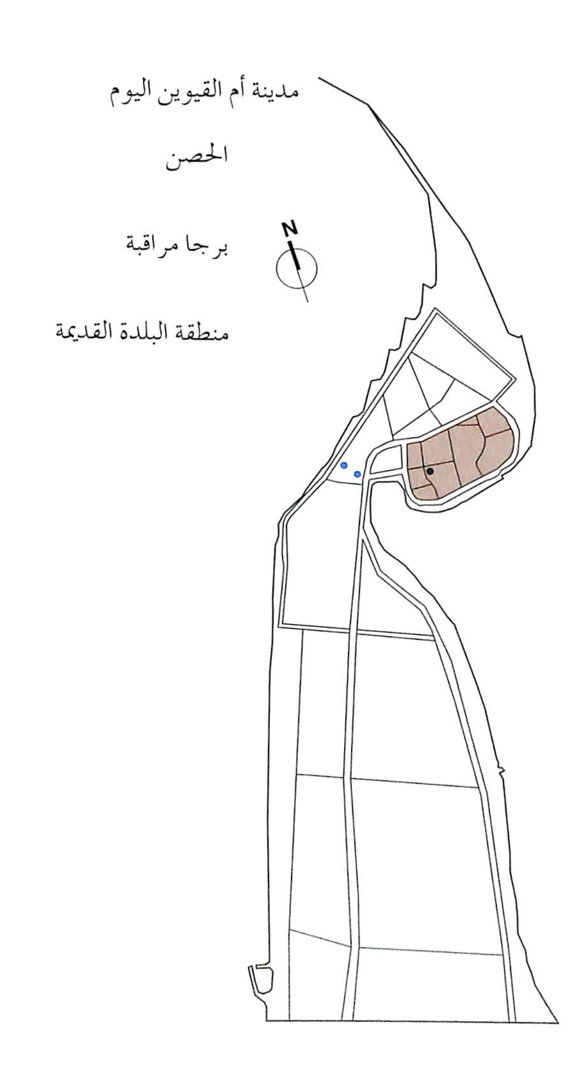
تكشف الصور الفوتوغرافية التي التقطها سلاح الجوّ الملكي البريطاني في سنة 1935 عن مدينة ساحلية عضوية تميّزها أفنية العريش. وتظهر المدينة الطبيعة القبلية للمجتمع بقرب التجمّعات السكانية بعضها من بعض وترتيب المنازل في مجموعات عضوية. كانت الخيمة البناء السائد إلى أن بدأ استخدام المرجان. وتظهر مدينة أم القيوين القديمة اليوم تأثيراً إيرانياً، يتضح بالمنازل ذات البراجيل. ولا يزال برجان للمراقبة قائمين إلى جانب سور المدينة والبوّابة التي تغلق في الليل وتفتح في النهار لحماية المدينة، على غرار تحصينات المدن الأوروبية في القرون الوسطى.



داخل منازل سعف النخيل

يرجع تاريخ أم القيوين الحديث إلى القرن الثامن عشر، عندما نقلت قبيلة آل علي عاصمتها من جزيرة السنية إلى الموقع الحالي بعد نضوب إمدادات المياه العذبة. وتلاحظ أنماط مماثلة من الهجرة بحثاً عن مياه الشرب في رأس الخيمة وعجمان. في سنة 1775، أنشأ الشيخ ماجد المعلا، مؤسّس فرع المعلا الحاكم في قبيلة آل علي، مشيخة مستقلّة في أم القيوين. وبدأ بناء الحصن الذي يضمّ الآن متحف أم القيوين في سنة 1768.

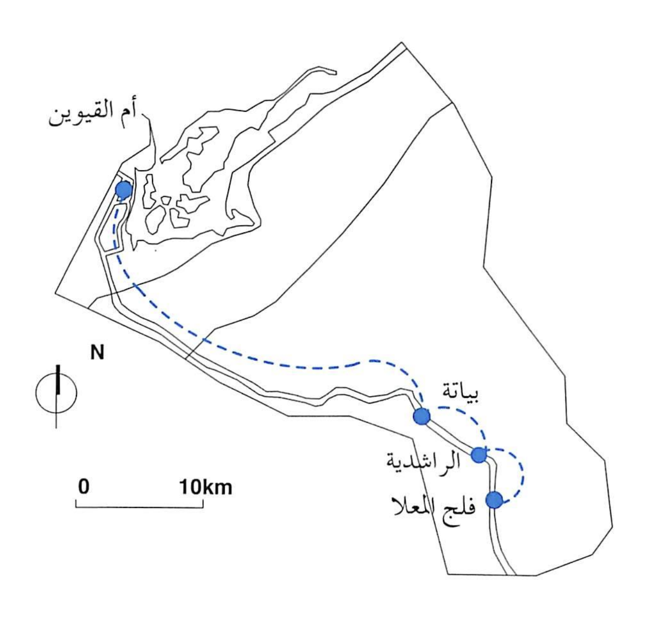
يوجد في المتحف مثال على العريش، ونموذج مثير للاهتمام لما يوجد داخل العريش يضمّ جميع الأثاث وأغراض الاستعمال اليومي، بما في ذلك مرآة، وسرير، وإناء ماء، ومكان صغير للجلوس. وتضفي الجدران شبه الشفّافة وحزم الضوء التي تخترق أوراق النخيل جوّاً شاعرياً على المكان.



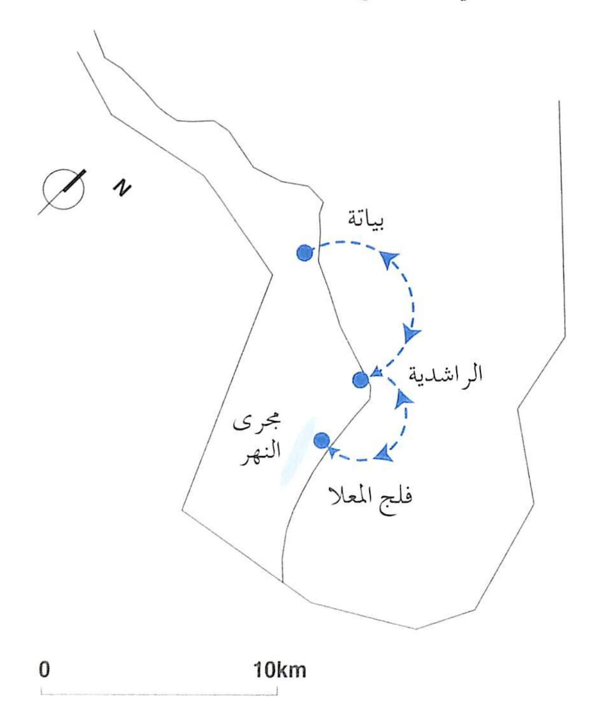
[الصفحة المقابلة] العريش من الداخل في حصن ومتحف أم القيوين، أكتوبر 2009



الهجرة القبلية من أم القيوين على الساحل إلى فلج المعلا



هجرات البدو في منطقة فلج المعلا



الهجرات الموسمية

هناك نوعان من الهجرات القبلية في إمارة أم القيوين: إحداها تسلك الطريق من ساحل بلدة أم القيوين القديمة إلى فلج المعلا في الداخل، والأخرى داخل منطقة فلج المعلا بين ثلاثة تجمّعات سكّانية هي بياتة، والراشدية، وفلج المعلا.

يوجد ماء في فلج المعلا، وهي تقع على مقربة من الذيد في تلال جبال الفجيرة. وكان البدو يقومون بالهجرات الموسمية ويتنقّلون بين هذه القرى الثلاث كل شهرين أو ثلاثة، تبعاً للرياح. لذلك كان لا بدّ من البساطة في إنشاء المنازل، كي تتمكّن العائلة من إقامتها وتفكيكها بسهولة.

وفقاً لروايات عائلة الغفلي، كما ترويها السيدة علياء محمد الغفلي، مديرة متحف أم القيوين، كان المسكن النموذجي يتكوّن من خيمة (مصنوعة من القماش الذي تحوكه النساء) وغرفتي عريش أو ثلاث بسيطة، إحداها مخصّصة للمطبخ. وكانت جميع المباني ترتّب في دائرة من دون سياج، ويوجد مستوقد في مركزها. وكانت خمس أو ستّ عائلات تعيش معاً. يوجد في المقابل رسم للتنظيم شبه الدائري لمساكن البدو. لاحظ كيف توجّه بعيداً عن الجيران احتراماً لخصوصية كل عائلة. وكان عدد المجموعات – خمس أو ست – في التجمّع السكاني البدوي الواحد مماثلاً لذلك الموجود في ليوا أو تجمّعات العريش السكانية الحضرية على طول الساحل.[14]

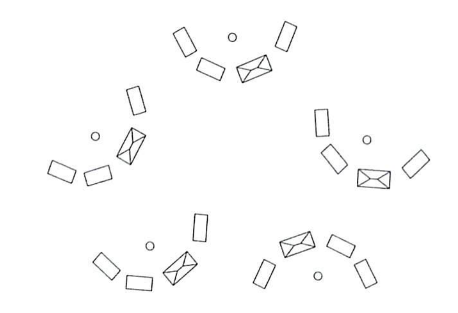
عريش حسن علي حسن العلي

يوجد منزل السيد حسن علي حسن العلي على بعد بضع مئات من الأمتار عن حصن فلج المعلا، وهو بدوي في الثانية والثمانين من العمر وواحد من اثنين لا يزالان على قيد الحياة في القرية ممن يعرفون كيف ينشئون مباني سعف النخيل. أنشأ السيد العلي منزلي عريش لعائلته، والخيمة (تظهر صورتها في المقابل) تستخدم على وجه الخصوص في الشتاء للرحلات الصغيرة. ومن الملفت طهي وجبة طعام على نار مكشوفة في مباني العريش في أشهر الشتاء. المباني جميلة الصنع، وتظهر براعة البنّاء في ربط سعف النخيل الجافّة معاً بالحبل. وتكسب المباني مقاومة المياه بوضع طبقة من القار، وهي ممارسة شائعة في الخمسين سنة الأخيرة. وتشكّل كل خيمة منزلاً لما يصل إلى عشرة اشخاص. تستخدم الخيمة في فلج المعلا منزلاً شتوياً، في حين يستخدم العريش في الصيف، بما في ذلك أسرّة المنامة الخارجية. وكان يوجد في الماضي نحو من ستين إلى مئة شخص في فلج المعلا، من قبائل العلي، والغفلي، والكتبي.

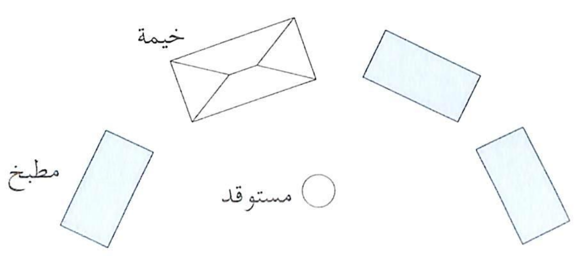
إنني مدينة للسيّد العلي الذي أتاح لي مقابلته، ولآمنة وشانية، ابنتيه الشابتين اللتين تكرّمتا بالمساعدة في الترجمة، إذ كان أبناؤه في تايلند في ذلك الحين. وأرجو صادقة أن تنقل معرفة هذا الشخص الرائع، الذي كان من حراس الشيخ المعلا، إلى جيل الشباب الإماراتي لإبقاء تقنيات ومهارات إنشاء العريش حية وتجنّب اندثارها.

[فوق] الخيمة من الداخل في فلج المعلا، أنشأها حسن علي حسن العلي، أكتوبر 2009

التجمّعات السكانية البدوية التقليدية في منطقة فلج المعلا



رسم لتجمّع سكاني بدوي نموذجي في منطقة فلج المعلا



عجمان

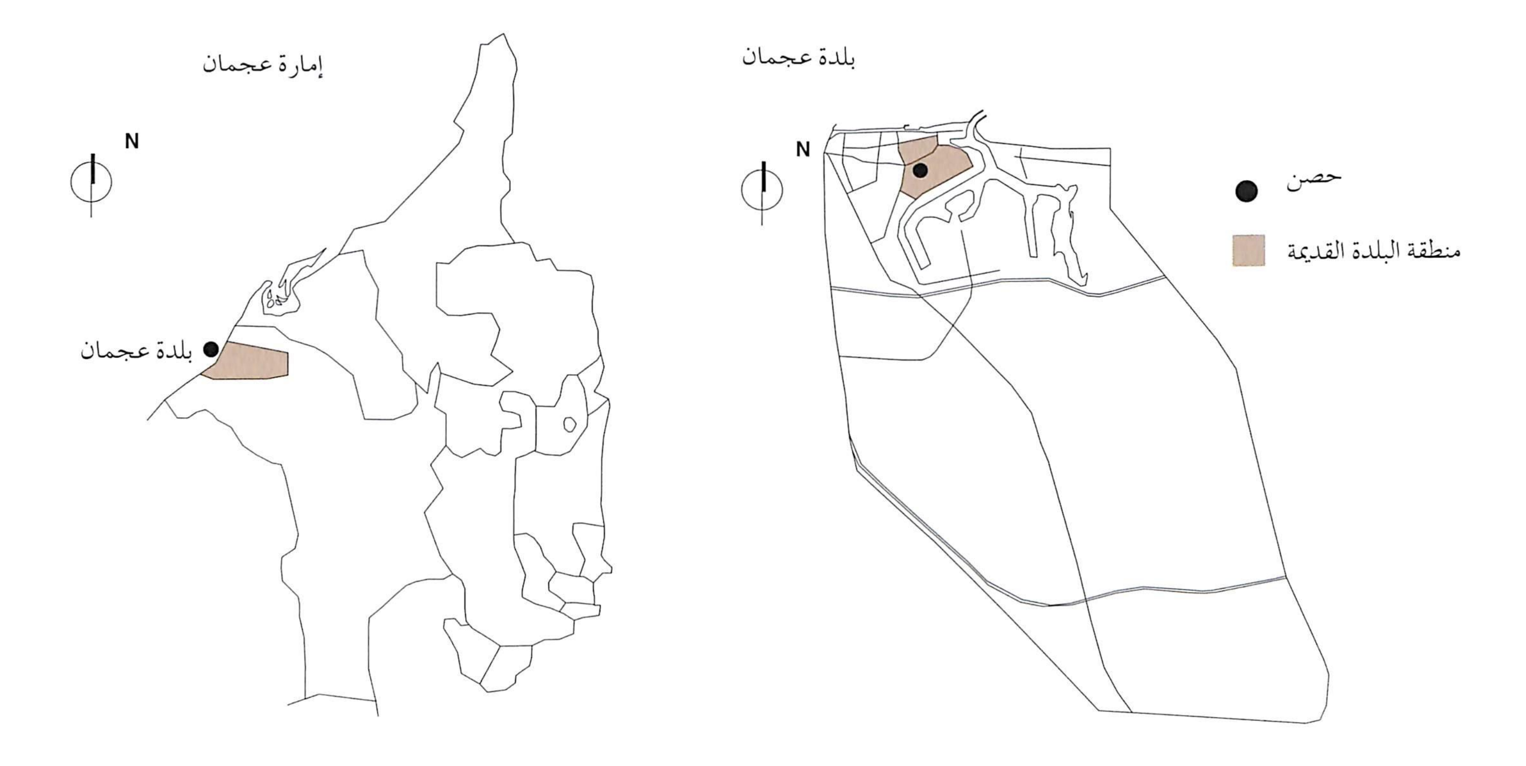
تقع عجمان بين أم القيوين والشارقة، وهي أصغر إمارة في دولة الإمارات العربية المتحدة، ويظهر وجودها في الاتحاد احترام المجتمع القبلي والأفراد الذين ينتمون إليه. تقدّم الحفريات الأثرية في موقع المويهات أدلّة على أماكن دفن ومصنوعات حرفية تعود إلى ثقافة أمّ النار (الألفية الثالثة قبل الميلاد) التي كانت قائمة على ساحل الخليج في ما يعرف الآن بالإمارات الشمالية. انتقل قسم من أسرة النعيمي الحاكمة لعجمان إلى وادي البريمي، في حين استقرّ عدد صغير في المنطقة الساحلية، وأنشؤوا إمارة عجمان الحالية. ويعتبر الشيخ راشد الأول، الذي تولى الحكم في سنة 1804، مؤسس أسرة النعيمي الحاكمة، ويرجع الفضل إلى خلفه، الشيخ حميد بن راشد النعيمي، حاكم عجمان منذ سنة 1981، في تطوّر عجمان من قرية صغيرة لصيد السمك إلى إمارة حديثة.[15]

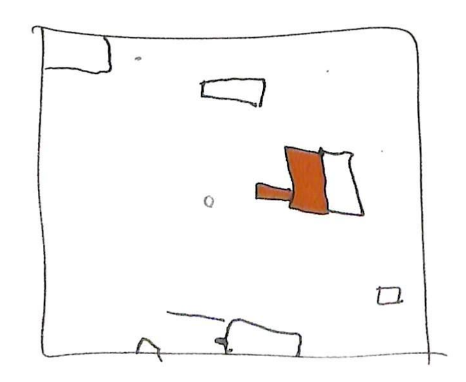
ساحل عجمان



بني حصن عجمان في سنة 1775، وكان يتميّز بالعديد من الخصائص الدفاعية البرتغالية وفقاً لسجلات متحف عجمان. اليوم تحوّل المبنى الرائع والمعقّد إلى متحف، ويضمّ برجيلاً أصيلاً عاملاً، وهو من البراجيل القليلة المتبقية في دولة الإمارات العربية المتحدة. وقد عاش سكّان عجمان بين سنتي 1775 و1980 في خيم مصنوعة من سعف النخيل ومنازل مبنية بحجارة مرجانية.

[الصفحة المقابلة] منزل عريش أعيد بناؤه في عجمان، أكتوبر 2009





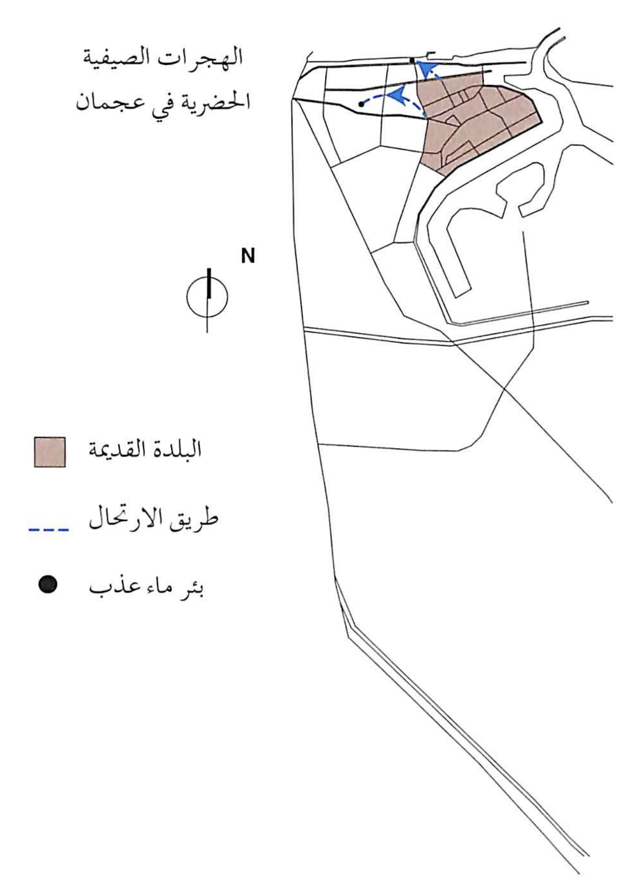
[إلى اليسار] عريش نموذجي تتفرّد به إمارة عجمان، رسم إبراهيم العوضي. التلوين البني يشير إلى موقع منزل العريش الصيفي


العريش
AREESH

الهجرات الصيفية الحضرية والمنزل النموذجي

عرّفني السيد إبراهيم محمد سالم العوضي إلى مدير متحف عجمان السيد علي محمد المطروشي. ويعمل السيد العوضي في متحف عجمان منذ 23 سنة وأنشأ كل مباني العريش المعروضة في أراضي المتحف. ولا تزال ذكرياته عن الماضي حيّة وتحفز على التفكير.

سكّان عجمان مستقرّون، وليسوا رحّلاً، مع تدفّق بعض الأشخاص من البلدان الأخرى. وكان من الممكن تمييز منازل العائلات الإماراتية بأنها تلك المحاطة بسياج من عريش. في حين كان الوافدون يعيشون في خيم منفردة. وإلى جانب المباني المنشأة من سعف النخيل، كان هناك قليل من المنازل المصنوعة من الصخور المرجانية والطين، شبيهة في أسلوبها المعماري بتلك المشاهدة في أم القيوين ورأس الخيمة. وكان معظم سكان عجمان يعيشون في خيم العريش في الشتاء وينشئون عريشاً منفصلاً ذا برجيل قرب الخيمة أو بعيداً عنها ضمن الحوش المحاط بسعف النخيل (انظر الرسم أدناه إلى اليمين). في الصيف، يرتحل بعض المقيمين إلى أماكن أخرى في عجمان ليكونوا على مقربة من موارد المياه العذبة، وهناك ينشئ الناس بيوت عريش مؤقّتة. لا توجد واحات نخيل في عجمان، لذا لا يوجد إمداد طبيعي بالمواد. كانت سعف النخيل تشحن بالقارب من رأس الخيمة أو تنقل عن طريق البدو من منطقة مسافي. وفي كلا الحالتين، كان العريش يورّد سائباً، فتقوم العائلات بصنع الدعن على الشاطئ. ينقع العريش في ماء البحر ويوضع على الرمل ليجفّ قبل الإنشاء.

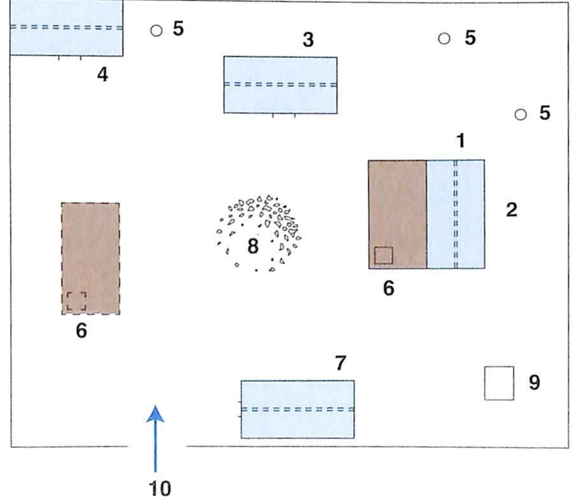


الهجرات الصيفية الحضرية في عجمان

بيت سعف النخيل في عجمان

كان إنشاء الخيمة في عجمان شبيهاً تقريباً بإنشاء الخيم في رأس الخيمة وأم القيوين. غير أن العريش الصيفي في عجمان يتميّز ببعض التفاصيل الفريدة. كان الجريد (سعف النخيل منزوعة الأوراق) يستخدم لإنشاء الجدران وترصّ معاً بإحكام، على فترات منتظمة، مع وجود فجوات صغيرة نسبياً فيما بينها. وكانت جميع الجدران الخارجية ترتفع 2.3 متر وبما أن الجدار لا يعمل وسيلةً للتهوية تسمح بمرور النسيم، فقد كانت تترك فجوة من نحو 50 سم بين أعلى الجدار والسقف من أجل دوران الهواء. وتنفرد عجمان بأن كتان أشرعة القوارب كان يستخدم لتغطية هذه الفجوة. ويرجع للتأثير الإيراني فضل إضافة برجيل لتسهيل التهوية الطبيعية للعريش من الداخل. وكانت الأسرّة توضع عادة قرب البرجيل وفي الزاوية المقابلة تقام غرفة صغيرة للحمّام، كما هو معتاد في الخيمة. وتعمل النوافذ الصغيرة المرتفعة بمثابة أدوات للتهوية، ويكون في عريش عجمان النموذجي باب واحد أو بابان.[16]

منزل نموذجي في عجمان[17]



1 الخيمة 1
2 حيّز بين الخيمة وسياج العريش
3 الخيمة 2
4 مطبخ
5 بئر (مواقع اختيارية)
6 عريش صيفي ذو برجيل (موقع اختياري)
7 مجلس
8 شجرة
9 حظيرة للحيوانات
10 مدخل رئيسي

يجب استيعاب التراث «يدوياً».

إبراهيم محمد سالم العوضي، عجمان



الشارقة

من المستحيل معرفة مقدار تغيّر التضاريس في المواقع الأثرية على امتداد آلاف السنين، لكن يمكن أن نخمّن أن المناطق الساحلية والجبلية لم تشهد تغيّراً كبيراً. وتشير المسوح التي أجريت في المواقع الأثرية في إمارة الشارقة إلى أن أشجار النخيل استُخدمت للأغراض المنزلية والبناء. ومن أقدم النصوص التي لدينا، وهو نص مطبوع في البندقية في سنة 1590، سجل لرحلات غاسبارو بالبي إلى الهند الشرقية يحتوي على أسماء ديبي (دبي الحديثة)، وسربا (الشارقة) وأجيمان (عجمان).

وقد طُبعت خريطة للشارقة، يرجع تاريخها إلى سنة 1820، بلونين مميّزين يشيران إلى الأشكال الحضرية. واستناداً إلى صور فوتوغرافية لاحقة، من المحتمل أن تكون المباني الملوّنة باللون الزهري على الخريطة مبنية من المرجان واللبن، في حين أن تلك الملونة بالأسود مصنوعة من سعف النخيل. ومن الواضح أنه كان يوجد صلات وثيقة بين بلدتي الشارقة ودبي في ذلك الوقت.

القرم على خط ساحل إمارة الشارقة في منطقة الحمرية.





المواقع الأثرية الأولية المحدّدة مشار إليها أدناه:

1 مليحة،[18] تضمُّ مناطق تمتد جنوب واحة المدام عند أسفل جبال حجر

2 مويلح، بتضاريسها الداخلية الصحراوية

3 المناطق الساحلية القريبة من الحمرية، وتحتوي على بحيرات شاطئية وقرم

تأتي أهم الاكتشافات ذات الصلة باستخدام سعف النخيل من موقع مليحة، كما يصف هذا الفصل.

كانت البحيرات الشاطئية والقرم مصدراً غنياً بالأسماك القشرية في الربيع. وتوفّر أعداد كبيرة من أكمات الأصداف والمصنوعات الحرفية الأخرى أدلّة على أكل الأسماك القشرية. ويرجع كثير من العيّنات المجموعة إلى أواخر الألفية الخامسة والألفية الرابعة قبل الميلاد. وتقدّم الفخّاريات من العصر الحديدي والفترة اليونانية مزيداً من الأدلة على سكنى البشر. ويفترض أن بلاطات حجرية كبيرة كانت تحمل منشآت من سعف النخيل تشكّل منازل مؤقّتة تقام لجمع الأسماك القشرية موسمياً.

هناك أيضاً أدلّة من العصر الحديد على الاستيطان في موقع مويلح الذي أنشئ بين سنتي 850 و800 ق م ودمّر نحو سنة 600 ق م. هنا عُثر على كمّيات كبيرة من نوى التمر وجذوع النخيل المستخدمة أعمدة. ويفترض علماء الآثار أن جدران سعف النخيل كانت تشكّل غرفاً بين أعمدة خشب النخيل.

خريطة بالأقمار الاصطناعية لإمارة الشارقة تظهر أماكن المواقع الأثرية المهمة



[فوق] طوب طيني في مليحة من قبر يرجع إلى سنة 150 ق م، موسوم بأنماط حصير سعف النخيل الدائري. وكانت هذه الحصر التي يبلغ قطرها نحو مترين تستخدم لتجفيف أوراق النخيل. مارس 2010

[فوق إلى اليسار] حصير مماثل لا يزال يستخدم حتى اليوم، من مركز الشارقة للصناعات الحرفية التقليدية

موقع مليحة الأثري

كانت مليحة تجمّعاً سكانياً مهماً عند أسفل جبل فاية ازدهر لمدّة 600 سنة بين سنتي 300 ق م و300 للميلاد. وهذا الموقع شديد الأهمية من الناحية الأثرية بحيث ربما يبرّر ذلك أن يطلق على تلك الفترة «حضارة مليحة».

الفنون والفخّاريات، والمجوهرات، وقلعة كبيرة، وقطع نقدية، ومدافن شديدة التعقيد تعبّر عن التقدّم الاجتماعي لسكّان مليحة. ولم تكن التجارة تتم مع موقع الدور القريب من أم القيوين فحسب، وإنما مع بلاد ما بين النهرين، وروما، وجزيرة رودس اليونانية أيضاً.

نجمت طبعات سعف النخيل المبيّنة أعلاه عن وضع الطوب الطيني ليجف على ما يعرف اليوم بالحصير، وكان ينسج في دائرة يبلغ قطرها نحو 180 سم. وقد احتوت حجرات المقابر الكثيرة المكتشفة في مليحة على ما يصل إلى ألف جثّة. وربما يشير نقش «مرأ شمس» بالآرامية، ويعني «رجل الشمس» أو «إله الشمس»، إلى شكل قديم من أشكال العبادة في حقبة متأخّرة قبل الإسلام.[19]



وفقاً لإصدار سنة 1938 من دليل غوتا التقويمي (Almanach de Gotha) الذي نشره جستس بيرتس (Justus Perthes)، وعرضه علينا الدكتور سلطان القاسمي من مركز الخليج للدراسات، كان سكان مدن ساحل القراصنة (ساحل الدول المتصالحة): أبوظبي 6000، البريمي 5000، دبي (بما فيها ديرة) 5000، رأس الخيمة 5000، والشارقة 15,000.

وذلك يعني أن حجم الشارقة في ذلك الوقت كان ثلاثة أضعاف أي من المدن الساحلية المتصالحة الأخرى، ومن المرجّح أن تكون الأغنى. حكمت قبيلة القاسمي الشارقة منذ القرن الثامن عشر وفي سنة 1820 وقّع الشيخ سلطان الأول المعاهدة البحرية العامة مع بريطانيا، يقبل بموجبها وضعية الحماية اتقاء للأتراك العثمانيين. فموقع الشارقة على الطريق إلى الهند منحها أهمية كافية للاعتراف بها دولة من الدول المتصالحة.

مدينة الشارقة منذ سنة 1930

تلقّى سكّان الشارقة دعماً من إقامة موقع ترحيل للخطوط الجوية الإمبراطورية على الطريق إلى الهند بعدما كانوا يعتمدون في معيشتهم على تجارة اللؤلؤ وصيد السمك. وتسمح لنا الصور الفوتوغرافية التي التقطها الطيّارون البريطانيون في ثلاثينيات القرن العشرين (الصفحة المقابلة) باستعراض النسيج العمراني للمدينة ووجود مساكن مبنية من سعف النخيل.

كانت الأصول الإثنية للسكان ولا تزال مختلطة. وتنحدر المجموعات الرئيسية من الأجانب من إيران وباكستان، ويلي هاتين المجموعتين من حيث الأعداد الهنود، ثم العرب.

يشير السيد عبد العزيز عبد الرحمن المسلّم، مدير إدارة التراث والشؤون الثقافية في الشارقة، أن الوافد الجديد إلى الشارقة كان يتوجّه إلى مسجد طلباً للمساعدة في السكن، فتتم مساعدته فيما يسمّى «الفزعة». ويقدّم له منزل مؤقّت من الجريد للسكنى. ويقيم الفرد أو العائلة فيه بضعة أشهر أو سنوات إلى أن يتمكّنوا من إنشاء منزل دائم. ولا يشير مصطلح جريد، وهو يشمل الخيم والعُرشان، إلى المنازل الصيفية فحسب وإنما إلى المكان المؤقّت على العموم.

تنوّع نسيج المدينة

كان الحيّز المطلوب كي يسير شخص حاملاً على كتفيه قضيباً يتدلّى وعاء للماء من كل من طرفيه هو الذي يحكم الفجوات بين المباني، وتبلغ نحو مترين. وكانت المدينة كثيفة البناء، وتتكوّن المنشآت من الصخور المرجانية وسعف النخيل على حدّ سواء. وإذا ما اندلع حريق فإنه ينتشر بسرعة ويدمّر بيوت العريش.

لم تكن سعف النخيل تستخدم مادّة لبناء المنازل والأسيجة فحسب، وإنما أيضاً المنشآت المحيطة بالواجهة البحرية، والدكاكين في الأسواق، والمظلات الواقية من الشمس في الشوارع الضيّقة للأسواق، والمراكز التجارية المهمة.

لم يكن هناك واحات طبيعية في القسم الشمالي من الشارقة. لذا كانت سعف النخيل تجلب من مناطق الذيد أو رأس الخيمة على الجمال من قبل البدو المحليين، ومن عمان عن طريق البحر، وغالباً ما كانت ترصّ معاً في حصر الدعن. وقد تنوّعت أساليب صناعة الدعن: القبائل المحلية لا تقطع أعالي السعف، في حين أن الدعن المستورد يشذّب في أشكال مستطيلة منتظمة. كما أن الفقراء يمكن أن يبنوا مظلّة بأي شيء في متناول اليد، بما في ذلك أوعية المياه، رغم أن سعف النخيل ظلّت المادّة المفضّلة للسقوف.





[إلى اليمين] خريطة لمدينة الشارقة في سنة 1820

[فوق] صورة فوتوغرافية جوية للشارقة في سنة 1935، من أرشيف بريتيش إير وايز

[تحت] صورة فوتوغرافية جوية للشارقة في ثلاثينيات القرن العشرين



الحمرية الجديدة، بناء بحري وخيمة أعيد إنشاؤها في القرية التراثية في الشارقة، فبراير 2010

تظهر صور المدينة في سنة 1951 تنوّعها المادّي والاجتماعي. كان الأغنياء يسكنون في مبانٍ مصنوعة من الصخور المرجانية والفقراء في بيوت سعف النخيل. وبالإضافة إلى الخيم التقليدية والعُرشان الصيفية، كان البلوش، وهم وافدون من إيران وباكستان حالياً، ينشئون منازل دائرية من سعف النخيل تشبه خيم اليورت في آسيا الوسطى. وكانت توجد البيوت البلوشية نفسها في رأس الخيمة، وربما أتاحت التجارة بين الإمارتين حدوث هجرات اقتصادية، مدعومة بالعلاقات القبلية بين أسرتي القاسمي الحاكمتين في الشارقة ورأس الخيمة.

منزل نموذجي

للمنزل النموذجي في الشارقة مكوّنات شبيهة جداً بمكوّنات المنازل في مدن الساحل المتصالح الأخرى. كانت الخيمة شكل البناء السائد الذي يؤوي عائلة واحدة. ويوجد في الداخل مكان صغير منفصل للاغتسال. وتشبه أساليب بناء الخيمة تلك الواردة في الفصل الخاص برأس الخيمة.

يوجد ضمن المسكن المحاط بسياج من سعف النخيل مطبخ على مقربة من بئر وحمّام. وفي الصيف يبنى عريش إضافي ذو برجيل مصنوع من نسيج الأشرعة وفجوة بين الجدار والسقف تسمح بدخول الهواء (كما في منازل العريش الصيفية في عجمان). كانت بعض العائلات تنام على أسرة خارجية في الصيف تدعى منامة، وتفرد غرفة منفصلة للرجال، مجلس، في بعض المنازل. وعلى العموم، يعود للتفضيل الشخصي تحديد مكان الخيمة والعريش داخل فناء المسكن. وكان مجتمع القرية بأكمله يشارك في بناء المنازل، بمساعدة أستاذ حرفي من المحلّة، أو من إمارة أخرى، أو حتى من بلد آخر كإيران.

الحمرية والهجرات الموسمية

الحمرية قرية صغيرة لصيد السمك توجد بين عجمان وأم القيوين، وتتشارك الجغرافيا الساحلية مع الشارقة. وكان اقتصادها يعتمد تاريخياً على صناعة اللؤلؤ التي تدرّ أرباحاً كافية لاستقلاليتها في ثلاثينيات القرن العشرين. في سنة 1970 كانت القرية تضمّ عشر خيام، ولايزال سكّان الحمرية اليوم يرتحلون إلى مزارع داخلية ذات عُرشان. وهي منازل مستطيلة ذات أسقف منبسطة وفتحات للأبواب في الجدار الطويل، كما توضح الصورة في الصفحة المقابلة.

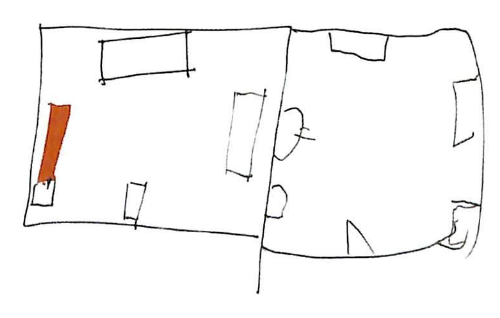
كانت العائلات ترتحل في الصيف من مدينة الشارقة أيضاً إلى مناطق مثل الفلج أو الغبيبة، حيث تتوافر المياه العذبة، أو إلى أماكن مفتوحة تسمّى براحة. وهناك يعيشون في منازل عريش تشبه كثيراً تلك التي تشاهد في منطقة الحمرية. وفي بعض الأحيان، تنشأ منازل العريش للنساء والأطفال فقط، وينام الرجال في الخارج على المنامة أو سرير صيفي.

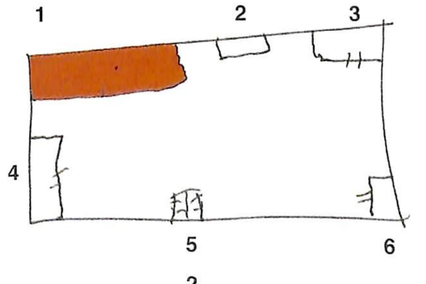
وكانت بعض العائلات ترتحل بعيداً في الصيف، وتستأجر الجمال والبدو في قافلة تضمّ ما يصل إلى ثلاثين شخصاً إلى أماكن الساحل الشرقي، مثل دبا أو الذيد.[20]

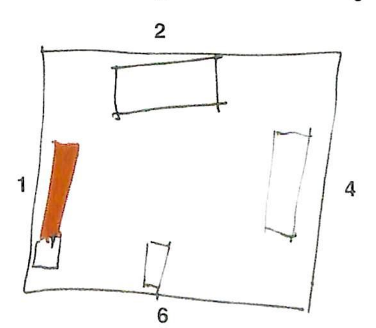
تراث غير مادّي

يمكننا أن نتتبّع من الأدلّة الأثرية وجود عمارة شعبية بسعف النخيل في الشارقة ترجع ألفي سنة إلى الوراء، إلى سنة 250 قبل الميلاد على الأقل. وبفضل القيادة الحكيمة للشيخ سلطان بن محمد القاسمي، حُفظت الثقافة العربية والإسلامية بمحبّة في إمارة الشارقة وعُرضت مصنوعاتها الحرفية في ما يمكن اعتباره أفضل المتاحف في دولة الإمارات العربية المتحدة.

من المؤسف جداً أن المدن الإماراتية الحديثة بنيت بسرعة كبيرة لم تتح سنّ التشريعات في الوقت الملائم لحماية الموروث وتقديم الأسباب والحوافز لإدخال نواحي العمارة الشعبية في المنشآت المعاصرة. لكن لم يفقد كل شيء: تقدّم البرامج الثقافية الناشطة والجامعات الممتازة الأمل بتقدير التصاميم التقليدية ومحاكاتها في المباني الحديثة، لربطها بالمناخ المحلي، والتاريخ، والثقافة الأصيلة.







[إلى اليمين] منزل نموذجي في الشارقة لخالد المرعي

1 عريش (منزل صيفي)
2 خيمة (منزل شتوي)
3 مطبخ
4 مجلس للرجال
5 مدخل 6 حمّام

دبي

في سنة 1833، انتقل نحو ثمانمئة شخص من فرع البو فلاسة من قبيلة بني ياس من أبوظبي واستقرّوا في دبي. وقد حكم قائدهما، عبيد بن سعيد ومكتوم بن بطي حتى وفاة الأخير في سنة 1852، وأسسا أسرة آل مكتوم حكّام دبي. وأصبحت دبي بفضل موضعها، والخور الذي يمتد داخلها، من أكثر موانئ الإمارات المتصالحة نشاطاً وازدحاماً.

وتشير الدكتورة فراوكه هيرد باي[21] إلى أن سكان دبي في سنة 1910 كانوا مزيجاً أكثر تنوّعاً من سكان أبوظبي والشارقة، إذ ضمّوا أفراداً من قبيلة بني ياس، وعرباً من البحرين، والكويت، والساحل الفارسي، وأشخاصاً من السودان، والبلوش، والهند البريطانية. وثمة واقع مهمّ حكم تطوّر المدينة: العمال وعائلاتهم في دبي يبقون في المدينة على مدار السنة، خلافاً للعمال في أبوظبي حيث كان الأشخاص العاملون في صيد اللؤلؤ يأتون من الصحراء، ويغادرون مع عائلاتهم بعد انتهاء الموسم.

برجيل أعيد إنشاؤه في مجلس في البستكية، دبي



المدينة والشكل العمراني

كان الشيخ راشد آل مكتوم القوة الدافعة خلف مبادرتين أسهمتا في توسّع دبي: التحسينات التي أجريت على الخور في سنتي 1958 و1959 لتمكين السفن من الإبحار إلى الداخل ومشروع ميناء يستوعب السفن الكبيرة في سنة 1964. وقد شهد السكان نمواً غير مسبوق في ذلك الوقت: من 59,000 نسمة في سنة 1967 إلى ما يقدّر بنحو 120,000 نسمة في سنة 1973، وفي ذلك الوقت جلب الميناء الجديد منافع كبيرة للمدينة.

اتضحت الحاجة إلى استيعاب نمو السكان الذين لم يكونوا يرتحلون موسمياً وإنما يزيدون باستمرار بسبب الوفود من الخارج. وكما في الشارقة، شيّدت بيوت من الصخر المرجاني ذات أفنية كبيرة على جانبي الخور. وكان يوجد بين هذه المساكن الخاصة الجميلة منازل ومساكن مصنوعة من سعف النخيل. وكان نصف المنازل تقريباً مصنوعاً من سعف النخيل، والنصف الآخر أبنية حجرية، على الرغم من تزايد منازل ومباني العريش الأخرى المتنوّعة الوظائف في ستينيات القرن العشرين.

استخدام سعف النخيل في مبانٍ مختلفة الوظائف

عندما أصبحت المدينة مركزاً تجارياً، أصبحت بحاجة إلى توفير أماكن على حافة الخور لتحميل الموادّ وتفريغها. ونشاهد في الصور الفوتوغرافية التي التقطها وِلْفرد ثِسَيغر في مايو 1948 خيماً وأسواقاً مزدحمة تتلاصق بعضها ببعض. وعلى الرغم من أن الأَرض الأقرب إلى الخور كانت الأغلى ثمناً، فإنها كانت الأكثر كثافة في البناء، مقارنة بالمنطقة السكنية الواسعة الأبعد.

البيع والشراء يعزّز التجارة بطبيعة الحال، وبالتالي تكاثرت الأسواق والدكاكين الصغيرة على طول الشوارع الضيّقة المظلّلة بالدعن، كما في الشارقة. وتظهر كثير من الصور الفوتوغرافية في تلك الفترة شوارع جميلة الإضاءة وباردة الظلّ، حيث تخترق حزم أشعة الشمس سعف النخيل المرتّبة ترتيباً فنياً. ولا يزال استخدام سعف النخيل داخل الدكاكين وفوق المقاهي ميزة جميلة.

إننا نعرف من مذكّرات الدكتورة آن كولز الشخصية عن العريش في أوائل سبعينيات القرن العشرين،[22] أن «العريش كان يستخدم لأكواخ صيد السمك، والمنازل الموسمية، والدكاكين المتواضعة، والمظلات لأعمال مثل الحدادة وإصلاح السيارات. كما كانت تستخدم سياجاً للزرائب وحظائر الحيوانات. كل ذلك كان موجوداً في دبي وضواحيها بالإضافة إلى المنازل».

البرجيل

كانت البراجيل تُبنى في المدينة لتبريد البيوت في قائظة الصيف. وهي تحقّق ذلك بتوجيه الريح عبر المنزل.

كانت البراجيل (أبراج الريح) تستخدم لتبريد البيوت المبنية بالحجارة وسعف النخيل. كان خشب الجندل (ألواح من الخشب الصلد يبلغ طولها أربعة أمتار) بمثابة هيكل إنشائي، والدعن للسقف، والكتّان بمثابة فاصل في البرجيل لتوجيه الريح. وعلى مقربة من الخيمة ذات السطح المائل، ينشأ ملحق ذو سطح منبسط لحمل البرجيل في الصيف. وهذا النوع من المباني هو الذي كان يسمّى عريشاً في دبي.

كان هناك نحو 1500 برجيل ترتفع من مباني العريش، وفقاً لبحث أجرته الدكتورة آن كولز في سنة 1970.





[في الأعلى] برجيل، 1970، ديرة دبي

[فوق] سوق دبي، سنة 1948

توزّع أنماط المنازل السائدة، 1963

N

مساكن مبنية بمعظمها بالصخور المرجانية واللبن

مساكن مبنية بالحجارة

500m 1km



مساكن مبنية بسعف النخيل

خيم

منازل مبنية بمعظمها بالحجارة

250m 500m

منزل نموذجي من سعف النخيل

المنزل النموذجي في دبي مزيج من الخيمة (منزل ذو سطح مائل، كما في جميع مدن ساحل الخليج)، بالإضافة إلى ملحق أمامي من سعف النخيل ذي سطح منبسط. يوجد إلى اليمين وفي الصفحة المقابلة مخطّط لهذا النوع من المنازل يظهر الترتيبات المكانية المعتادة وتجديد له في متحف دبي. تقيم عائلة واحدة في الخيمة، وتحتوي على مكان مساحته نحو متر مربّع للاستحمام. وفي بعض الأحيان يكون منزل العريش منفصلاً عن الخيمة، على الرغم من وجوده دائماً داخل سياج المسكن. ويقسم المنزل أحياناً، ضمن الفناء الكبير المحاط بسياج، إلى نصفين متساويين يضمّان غرفاً للذكور والإناث.

كانت كثافة المساكن التي تتميّز بالاختلاط الثقافي سبباً في جعلها عرضة للحريق، وفي حوادث عديدة احترقت أحياء بأكملها مبنية من سعف النخيل. وعلى الرغم من تشريع يحظر بناء مساكن سعف النخيل، فقد تواصل بناء هذه المنازل. وفي ليوا على سبيل المثال، أتت النار على مساكن عريش بناها السكان البدو المحليون، لكن لم تسجّل الحادثة رسمياً البتة.

سعف النخيل ومواد البناء الأخرى

من خصائص العمارة التقليدية استخدام المواد الطبيعية المحلية – الحجارة أو اللبن أو سعف النخيل بالدرجة الأولى. غير أن الصور الفوتوغرافية والأحاديث مع السكان المحليين توضح أن المباني كانت تنشأ من ضروب متنوّعة من الموادّ الأخرى، مثل أكياس الأرزّ وصناديق الشاي. ويبدو أنه استُخدم كل شيء يمكن استخدامه.

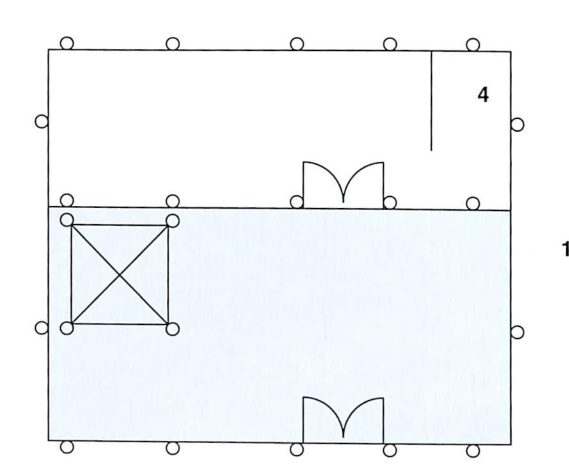
سعف النخيل

كانت الخيام ذات السطح المائل، التي تضمّ شبكة بمثابة دعامة ثانوية، تصنع من الجريد. لأشجار النخيل سعف يبلغ طولها نحو أربعة أمتار، تنمو عليها العديد من الأوراق التي يبلغ طولها نحو 50 سم. وتنزع هذه الأوراق الصغيرة التي تسمّى خوصاً عن السعف عادة. وكانت الحصر ذات الأنماط المربّعة تستخدم طريقة بديلة لبناء الأسقف.

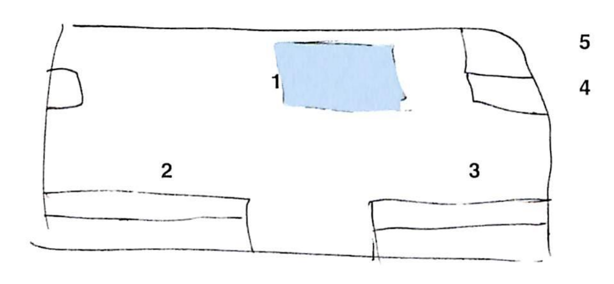
الدعن

للإمارات تاريخ طويل ومتنوّع لاستخدام الدعن في بناء منازل سعف النخيل. وهي تصنع مسبقاً ويمكن صنعها خارج الموقع. ولكل منطقة تقريباً تصميمها الخاص لربط سعف النخيل معاً. في دبي وبعض المدن الساحلية، كان الدعن يستورد من عمان، غير أنه يوصّل بطريقة مختلفة للأسف ومن ثم لا يشبه الدعن البدوي التقليدي.

مخطط لمنزل نموذجي في دبي



منزل السويدي في الجميرة[23]



1 عريش (بيت صيفي)
2 برجيل
3 خيمة (منزل شتوي)
4 مطبخ
5 حمام
6 مدخل


ممنوع التدخين
NO SMOKING

[فوق] بيت نموذجي مجدّد في دبي، متحف دبي، مارس 2010

[تحت] مجلس غرفة أم الشيف، الجميرة، أبريل 2010

الصخور المرجانية

يسود استخدامها في المباني الحجرية. ويؤكّد علماء الآثار أن سعف النخيل كانت تدعم بالصخور المرجانية على مستوى الأرض في رأس الخيمة حتى القرن السادس عشر.

أكياس الأرزّ

طالما شكّل الأرزّ مكوّناً مهماً في النظام الغذائي الإماراتي. ولم يكن من غير المعتاد رؤية براجيل مصنوعة من أكياس الأرزّ.

صناديق الشاي

في سنة 1970، نشأ تجمّع سكّاني خلف ديرة وشرقها، وقد أسمي صندقة على نحو ملائم، لأنه كان مصنوعاً بأكمله من صناديق الشاي، على الرغم من أن الأسقف والأسيجة كانت مصنوعة من سعف النخيل والدعن.

وقد شكّلت جذوع النخيل وخشب الجندل والمربّع الصلد الدعامة الإنشائية لهذه المساكن، باستثناء المباني المشيّدة بالحجارة.

استخدام سعف النخيل اليوم – القرى التراثية

توجد ظاهرة «القرية التراثية» في دبي، بالإضافة إلى الشارقة. وبفضل الازدهار الاقتصادي الذي سبق الأزمة الاقتصادية في سنة 2008، فقد تمت المحافظة على منطقة الشندغة قرب الخور، والبستكية، وبعض المباني التاريخية في ديرة، لكنها الآن الأماكن الوحيدة التي يمكن أن تشاهد فيها العمارة التقليدية لدبي.

ينحصر استخدام سعف النخيل في بضع منشآت في القرية التراثية، والبستكية، وأمثلة فردية، مثل المقهى في مجلس الجميرة وفي محمية الحياة الفطرية في رأس الخيمة.

يمكن أن ينسب تجديد دبي القديمة والمحافظة عليها إلى رجل واحد، المعماري رشاد محمد بوخش، مدير إدارة المشاريع العامة في بلدية دبي. غير أن السؤال الملحّ لا يزال قائماً – كيف ننقل هذا التراث المجدّد خارج أسوار القرية التراثية إلى قلب المدينة ونمنحه الأصالة في التفسيرات البصرية.





3

التفاصيل التصميمية

في سنة 2010، بثّت إذاعة البي بي سي 4، بالاشتراك مع المتحف البريطاني سلسلة من البرامج بعنوان «تاريخ العالم في 100 قطعة» (*A History of the World in 100 Objects*)، كل منها يستلهم مصنوعة يدوية من المتحف ويصف أهميتها. وعلى غرار ذلك، فإن تاريخ استخدام سعف النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة هو في جوهره تاريخ لذلك البلد، وعن طريق تتبّع قصص تطبيقاته على مرّ القرون، يمكن تحديد أنماط سكنى البشر فيه.

إن قصة سعفة النخيل ليست مجرّد أحداث تاريخية متتالية، وإنما أيضاً تنويه بإبداع الإنسان. وهناك أمثلة لا تنتهي على الطرق الخيالية الرائعة والبارعة التي استخدمت فيها سعفة النخيل، ما يشهد على أن الشعب يستطيع إنشاء المباني من دون معماريين وأن قرون المعرفة المترسّخة في مجتمعاته تمكّنه من إتقانها بالاستجابة للمُناخ فحسب. لقد أدرك هؤلاء البنّاؤون المواد إدراكاً عميقاً: كيف أن الاحتفاظ بالأوراق الصغيرة على السعفة يوفّر التبريد على سبيل المثال، وكيف توصّل هذه الأوراق أو الخوص بالحبال، وكيف يمكن إنشاء أنماط لا نهاية لها باستخدام سعفة النخيل والحبل فحسب. بل إن أكثر علماء المُناخ خبرة لا يستطيع إدخال تحسين على الأدوات البسيطة والبارعة

التي تتيح للغلاف الخارجي للمنزل التنفّس وتسمح أيضاً بدوران الهواء في الداخل، أو الأساليب المختلفة لإنشاء الجدران من السعف المتباعدة فيما بينها للسماح بدخول النسيم (مثل عريش الخيادي في رأس الخيمة)، أو ترك فجوة بين أعلى الجدران والسقف للسماح بدخول الريح في المناطق الساحلية (مثل عجمان)، أو البراجيل الرائعة في دبي والشارقة. ويتسم العريش من الداخل بالبساطة والجمال، حيث تنشأ مكوّناته بمزيج مثالي من سعف النخيل، والحبال، وأشعة الشمس، وخيال الإنسان.[24]

ليوا

تفاصيل منزل من سعف النخيل
تتفرّد بها منطقة ليوا







تفاصيل من منازل واحة العين

[هذه الصفحة] الدعن التقليدي الذي حبكه في الصناعية موظفو المحافظة على التراث في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة

[الصفحة المقابلة] العناصر الإنشائية للعريش في متحف العين الوطني







البناء في واحة العين

[الصفحة المقابلة] تفاصيل سياج في واحة الهيلي

[تحت] تفاصيل نافذة في قرية حتّا القديمة

[الصفحة المقابلة، إلى أعلى اليمين] غرفة عريش من الداخل

[الصفحة المقابلة، أعلى اليسار وأسفله] أساليب حتّا: الخوص والبرستي والسرابيك







تفاصيل من القرية التراثية
في الفجيرة



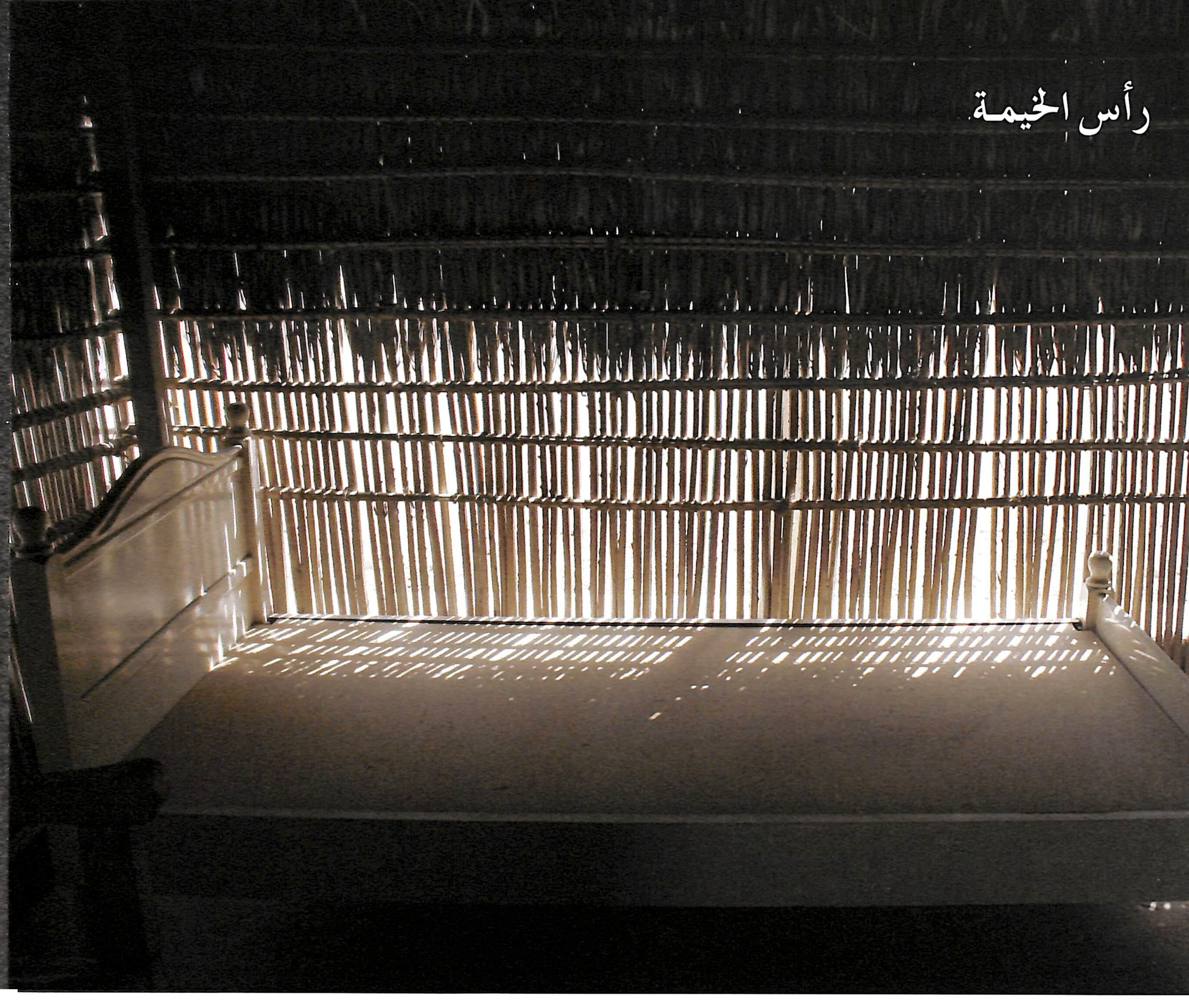


الساحل الشرقي

[الصفحة المقابلة وفوق] تفاصيل العمارة الساحلية في خور كلباء

[إلى اليمين] قرية صيد السمك في دبا





تفاصيل العريش المقصّص
والخيادي اللذين تتفرّد بهما
منطقة رأس الخيمة





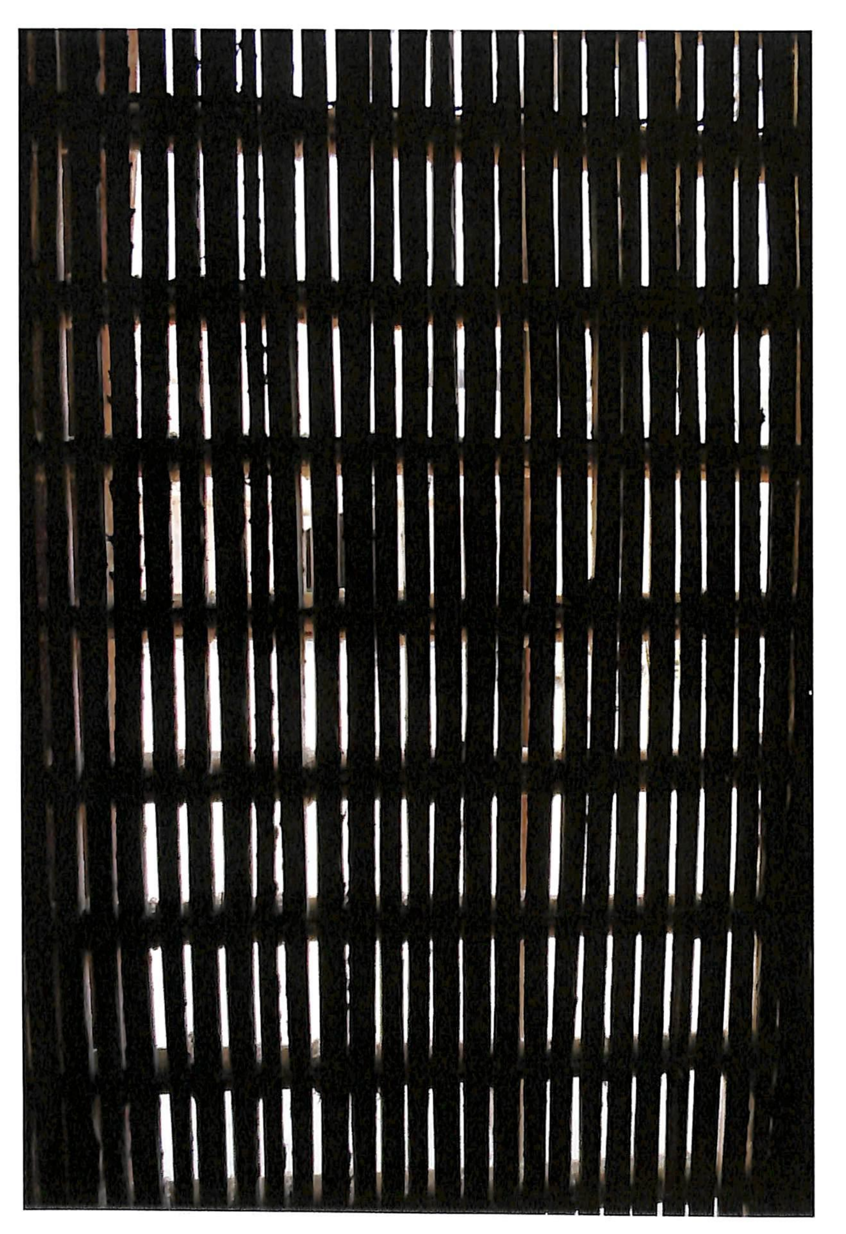




[فوق وأعلى الصفحة المقابلة] داخل عريش مجدّد في متحف أم القيوين

[أسفل الصفحة المقابلة] إحدى منشآت العريش الأصيلة القليلة جداً المتبقية في فلج المعلا


عجمان





تفاصيل عريش في عجمان.
فجوة نموذجية (50 سم) لدخول الهواء، تغطى تقليدياً بقماش كانفا الأشرعة



منطقة القرية التراثية في الشارقة مع قلعة الحصن (هذه الصفحة)







برجيل مجدّد وتفاصيل غرفة
عريش في منطقة الشندغة



برجيل مجدّد وتفاصيل غرفة
عريش في منطقة الشندغة





برجيلان مجدّدان، أحدهما منفّذ بطريقة تقليدية باستخدام الكتّان المعاد تدويره من أكياس الأرزّ، والآخر تفسير معاصر للبرجيل في مجلس غرفة أم الشيف، الجميرة



4

تطبيقات معاصرة

عقد العريش، الأول في سلسلة من الاختبارات التي تحاول تقييم الخصائص الإنشائية لأوراق النخيل، أغسطس 2009

ما الذي يجب أن تكون عليه العمارة في عصر حلول «النسخ واللصق»؟ وما مبرّر وجودها وطموحاتها؟ هل نمسح التاريخ، وندمّر مباني بعد 25 سنة ونواصل تكرار أنماط البناء نفسها في لندن والدوحة وكوالالمبور؟ تقدّم نماذج العمارة المحلية بدائل وسط هذه الاحتمالات.

لقد استجابت المباني التقليدية للمناخ والتضاريس منذ آلاف السنين. وهي تقدّم أفضل الدروس على الاستدامة البيئية السلبية (لا الميكانيكية) وموقع العمارة في السياق الثقافي.

إن تقليد الماضي ليس بالضرورة أفضل الطرق لإيجاد لغة معمارية ملائمة للتعبير عن الاستمرارية الثقافية الأصيلة. كيف إذاً يتم الارتباط بالماضي، والأرض، والشعب المحلي؟

ربما تكون الاجابة، في حالة العمارة بسعف النخيل، في إيجاد تطبيقات جديدة لمادّة متوافرة. يوجد في دولة الإمارات العربية المتحدة وحدها 42 مليون شجرة نخيل. ويكمن التحدّي في إيجاد استخدام للمواد الوفيرة في البناء التقليدي. على سبيل المثال، يجب قطع أوراق النخيل الجافة من شجرة النخيل سنوياً لإعداد الشجرة لإنتاج الرطب في العام التالي. ومع ذلك لم يستغلّ أحد حتى الآن هذه الأوراق الملقاة في المباني الحديثة بنجاح.

أجرت المؤلّفة المحاولات الأولى لدراسة كيفية استخدام أوراق النخيل في عمارة القرن الحادي والعشرين في إطار مشروع محدّد كلّفتها به هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: النموذج الأولي لأبنية العريش البيئية في الموقب، واحة ليوا، في إمارة أبوظبي. والغاية من المشروع توفير مساكن لإقامة موظفي هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة المعنيين بالمحافظة على البيئة في ليوا.

كانت الطريقة الوحيدة لاستعراض جميع الاحتمالات، بغياب أي بيانات تقنية، إنشاء نماذج أولية بالحجم الطبيعي واختبار سلوك المواد. وتعيّن على المستشارين التصميميين المحترفين الملحقين بالمشروع مقاربة موضوع البناء الحديث باستخدام سعف النخيل بطريقة مختلفة عن منهجيات إنشاء المباني القياسية أو المعروفة.

أنشئت النماذج الأولية بنجاح لاستعراض ثلاثة جوانب للبناء باستخدام سعف النخيل: الهيكل، والتصنيع المسبق، والزخرفة.

الهيكل









سلسلة من الاختبارات الهادفة إلى إنشاء نموذج بالحجم الطبيعي وتقييم القدرات الإنشائية لأوراق النخيل، يوليو – نوفمبر 2009. أجرت المؤلفة الاختبارات في ورشة هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في الصناعية في العين، بمساعدة موظفي المحافظة على البيئة في الهيئة.

ليس لورقة النخيل الواحدة قوة بنيوية. لذا كان الاختبار الأول تحليل خصائص انحناء الأوراق المرتبطة معاً بحبل لتشكيل قوس. لصنع القوس، تُنزع الأوراق عن سعف النخيل وتنقع ليلة واحدة في ماء غير مالح. بعد ذلك توصّل الأوراق المبلولة معاً لتشكيل القوس. وكشفت النتائج المبكّرة أن من المهمّ وضع الأوراق بانتظام كي يحظى القوس بقوّة بنيوية.

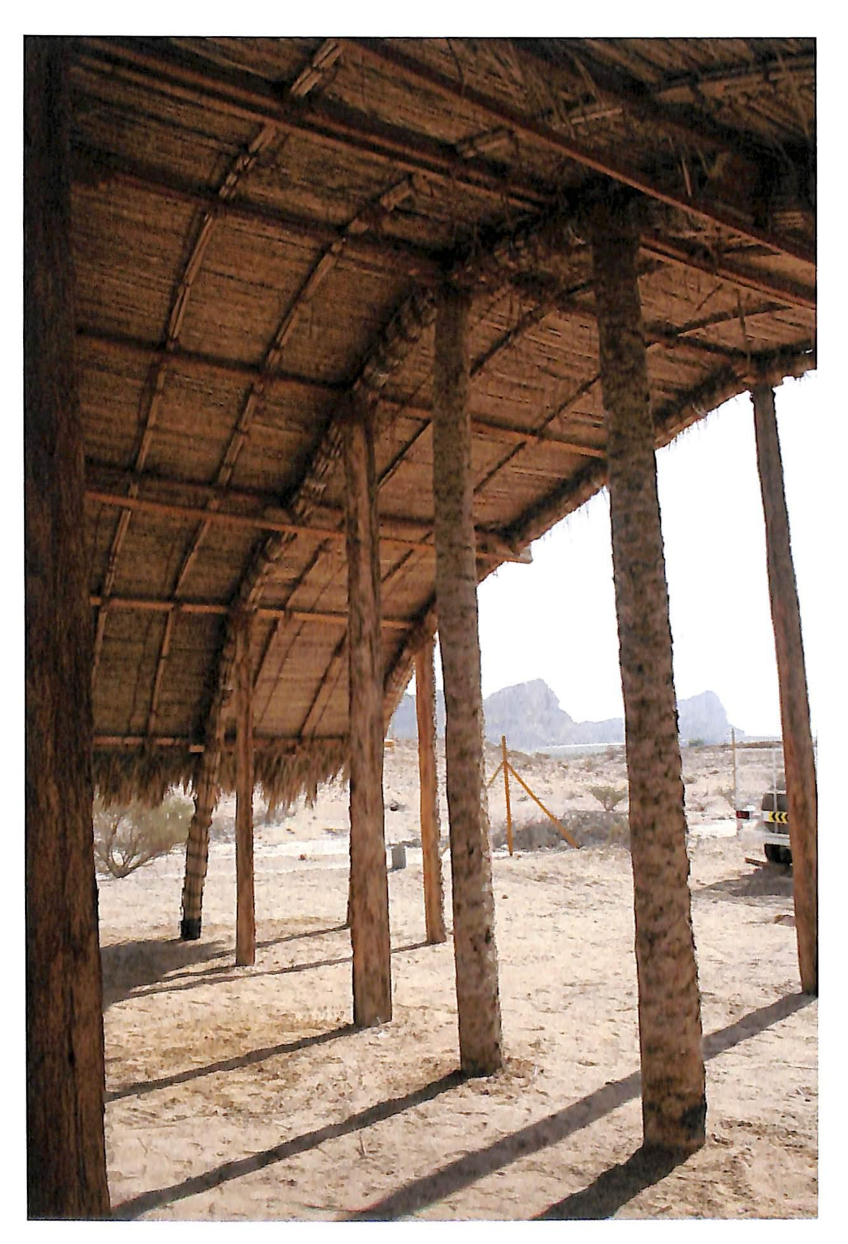
للحصول على امتداد 13 متراً مع ارتفاع 4 أمتار، أسندت الأقواس بأعمدة من جذوع النخيل في ثلاثة أماكن. شكّل ثلاث من هذه الأقواس المسنودة، إلى جانب هيكل ثانوي، دعامة قوية لغطاء السقف. وبلغت المسافة الأطول بين الأقواس 3.5 أمتار. وقد استُخدم حبل مصنوع تقليدياً من ألياف شجر النخيل للربط، رغم أن من المستحسن استخدام سنادات فولاذية قابلة للتعديل في الإنشاء الفعلي.

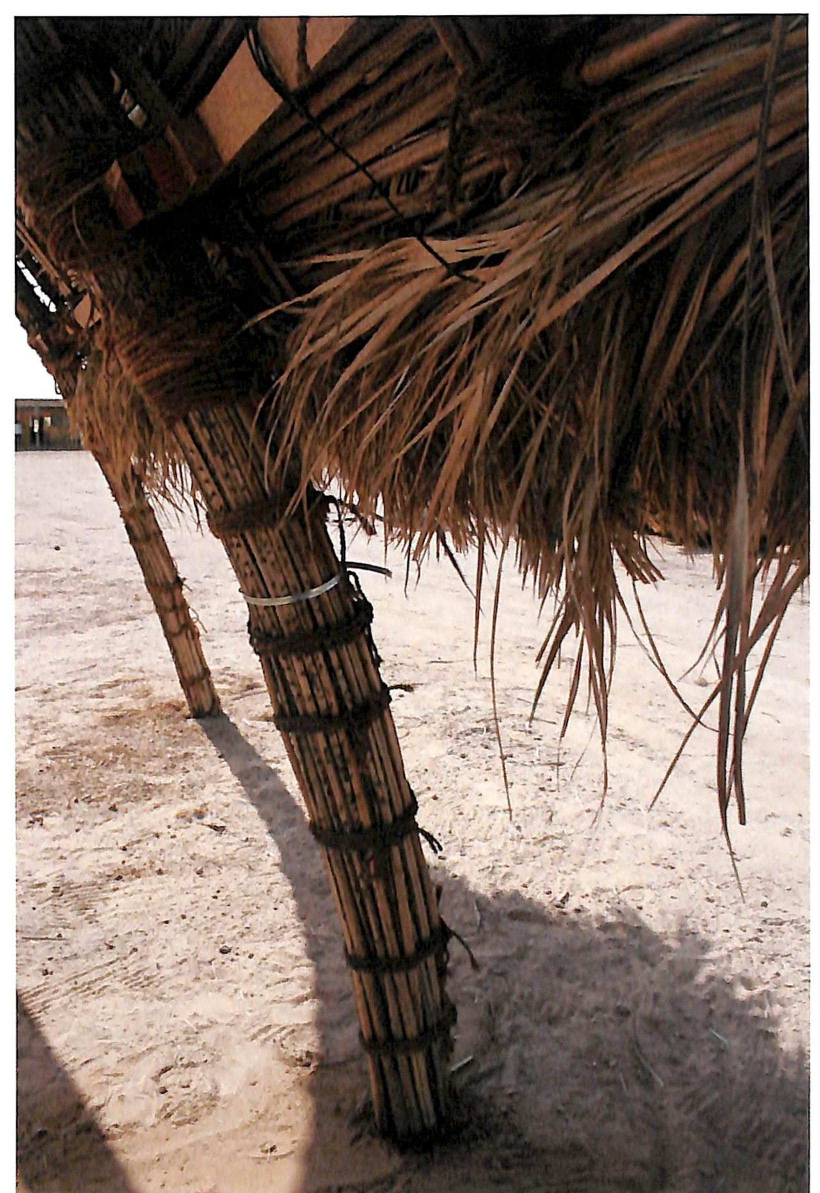
الدعن هو المكوّن الرئيسي للجدران والأسقف، ويمثّل أحد أقدم التقنيات في العمارة بسعف النخيل. يتفاوت النمط المستخدم في وصل سعف النخيل معاً بالحبل تبعاً لمنطقة المصدر. وتشيع الدعون المستخدمة في المشروع الحالي كثيراً في عُمان وتستخدم لإنشاء الأسقف في المباني المصنوعة من اللبِن في جميع أنحاء البلد، لا سيما منطقة العين.

يستخدم عدد من هذه الدعون، ويوضع بينها قماش الكتان، لصنع سقف صامد للماء. وقد قدّر الفريق أن القوس الواحد يزن نحو 500 كيلوغرام وأن الأقواس الثلاثة يمكن أن تتكوّن من طنّين في أوراق النخيل. في 8 نوفمبر 2009، بلغت سرعة الريح في العين 35 كم في الساعة، لكنها لم تؤثّر البتة على الهيكل المقوّس، ما جعل المهندس الإنشائي راضياً تماماً.

لذا فإن الاستخدام الإنشائي لأوراق النخيل في صنع غطاء صامد للماء للسقف ويوفّر خصائص حرارية ممتازة منهجيّة مثبتة. ومثل هذا النوع من الأسقف على بناء ذي جدران من الحجارة يساعد في تبريد المسكن.

كان التعاون بين المعماري، والمهندس الإنشائي، والحرفيين الماهرين الذين يعملون لدى هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في العين أمراً حيوياً للمشروع. ولم يكن هذا المشروع ليتحقّق لولا تفاني بيتر شيهان (Peter Sheehan)، مدير المباني التاريخية، ومحمد النيادي، مدير إدارة البيئة التاريخية، وكلاهما من هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، فرع العين. وقدّم هيثم صلاح أحمد محمد، المهندس الإنشائي في شركة رامبول، مساعدة لا تقدّر بثمن.





موافقة المهندس الإنشائي على
المظلة المكتملة ذات السقف
الصامد للماء



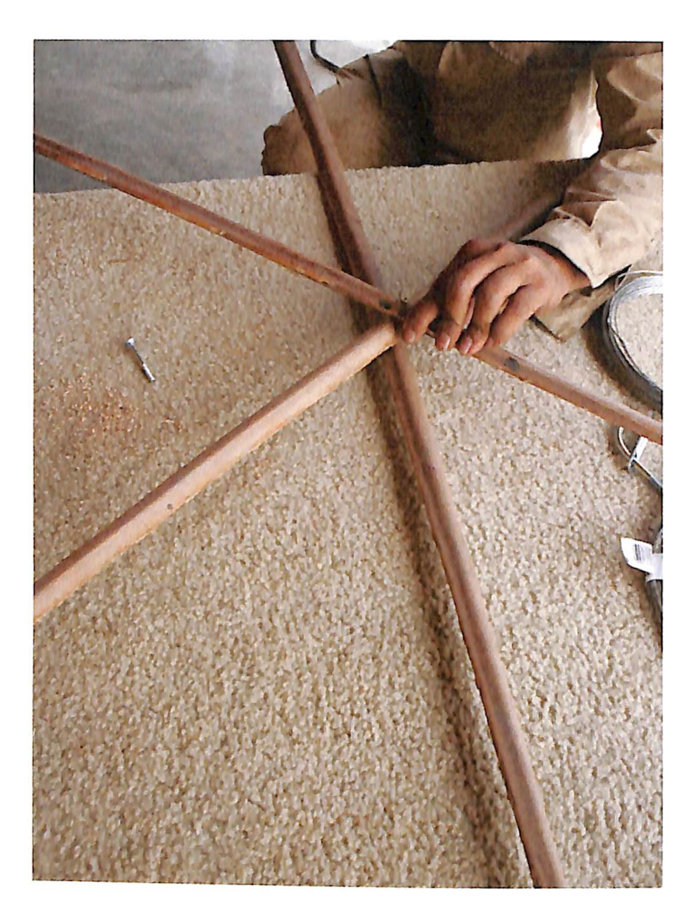
التصنيع المسبق

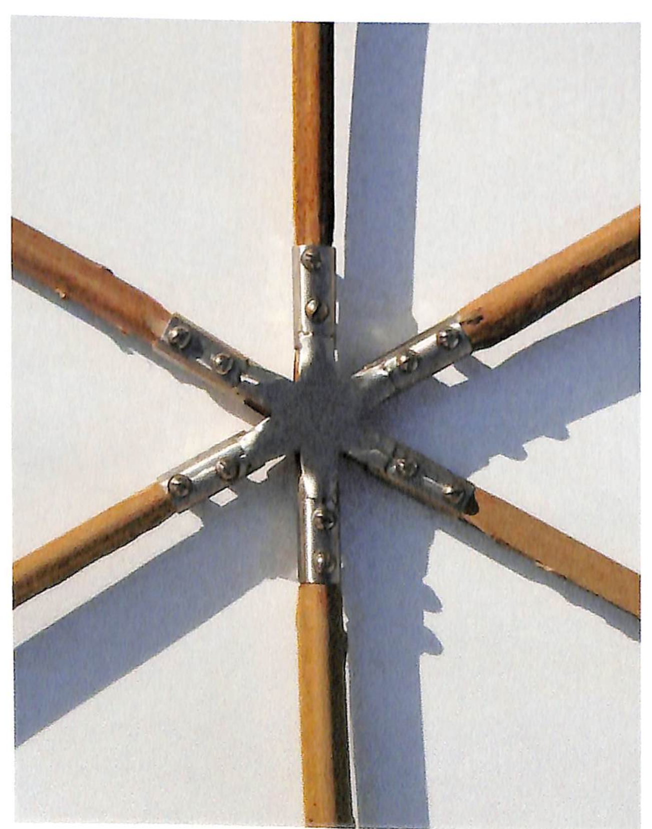
كانت مباني العريش مسبقة الصنع تاريخياً، لا على نحو المكوّنات التصميمة للهياكل الفولاذية الأنيقة التي نشاهدها اليوم، ولكن بمعنى أنها قابلة للنقل. يمكن لف جدران وأسقف مباني سعف النخيل مثل السجادة ونقلها على ظهر جمل أو حمار أو دهو.

في أثناء استقصاءاتنا، أجرينا اختبارات لفهم إذا كان من الممكن بناء هيكل شبكي من سعف النخيل وعقد فولاذية لا تصدأ. وقد اختير المثلث المتساوي الأضلاع، وهو مثلّث فيثاغوري، بمثابة وحدة لهذا النموذج. ويمكن عند توصيل المثلّثات المتساوية الأضلاع معاً إنشاء أشكال هندسية منحنية، وأقواس، وهياكل ذات باع طويل، ومن الأمثلة المألوفة على ذلك القباب الجيوديسية.

ووجهت تحدّيات تتعلّق بأن سعفة النخيل مادّة طبيعية تأتي بأشكال متباينة، ما يجعل من الصعب توصيل سعف النخيل بالعقد القياسية. من الناحية المثالية، يجب أن تكون العقدة مرنة لاستيعاب تفاوت أحجام السعف، ويجب عدم ثقب السعف أو قشرها عند نهاياتها، إذ يمكن أن يؤدي ذلك إلى انقسامها. وقد سمحت لنا معرفة حدود الموادّ بأن نخلص إلى أن مرونة العقدة، وتوصيل أكثر من سعفة نخيل واحدة في وحدة واحدة، وأحجام المثلّثات المتساوية الأضلاع هي العناصر الرئيسية في إنشاء شباك سعف النخيل المسبقة الصنع.

تم نصب الهيكل الشبكي بدعم إنشائي من خشب المربّع. وشكّلت سعف النخيل المرصوصة مع توجيه أوراقها الصغيرة إلى الداخل وسيلة تظليل فعّالة. والاستخدام المستحسن لهذا التطبيق هو ورشة أو مخزن للمواد، حيث لا تكون التهوية الميكانيكية مطلوبة.



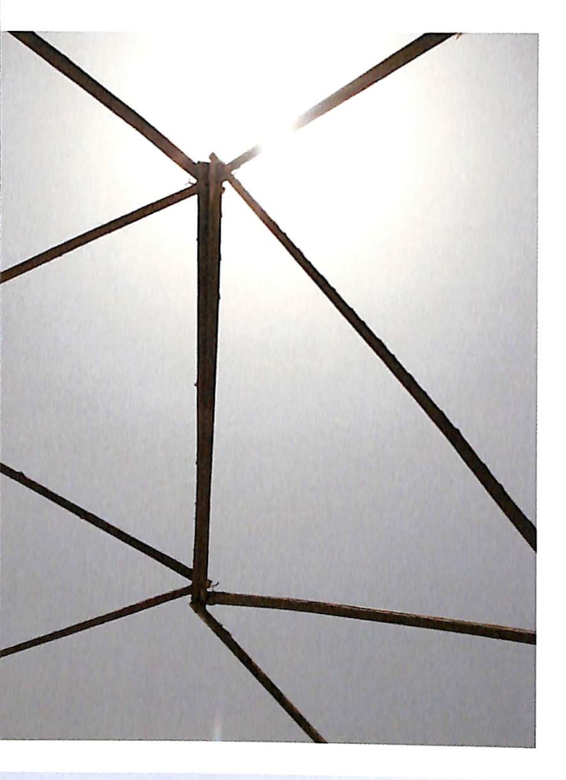


المحاولات الأولى لتقييم طريقة الإنشاء المسبقة الصنع باستخدام سعف النخيل الجافة

[الصفحة المقابلة] حدود المواد. ساعد المعماري سيمي سريدهاران في دراسة خاصة أجريت على العقد



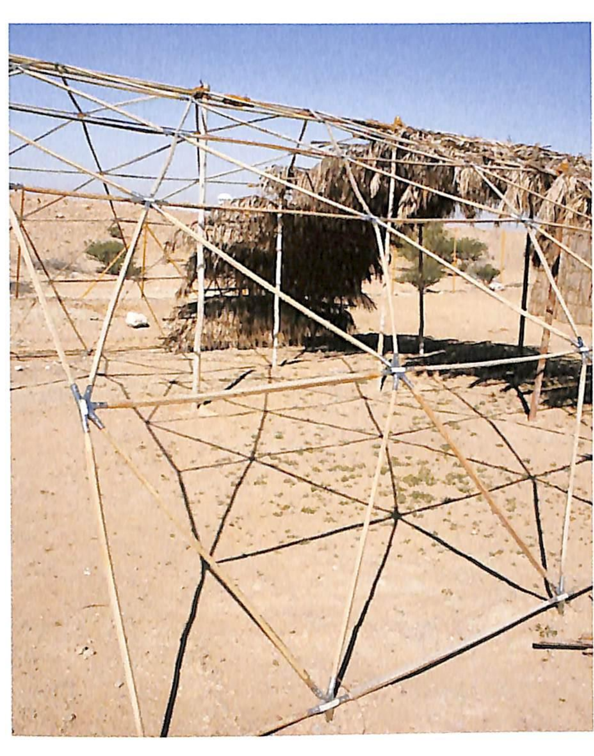
← A38 →
← A27 →
← A22 →
← A16 →
← A11 →
← A10 →
← A5 →
← D6 →
B8
B6











التقدّم المتحقّق من يوليو إلى
نوفمبر 2009 في سلسلة من
النماذج لاختبار مختلف المكوّنات
من لعناصر المسبقة الصنع

الزخرفة

جلبت الحداثة الانتظام إلى العمارة، ونتج عن ذلك أن الصناديق الخرسانية، والجدران البيضاء، وغياب الزخرفة تميّز التصاميم المعاصرة. وتهدّد العولمة هوية الثقافة الوطنية. لمواجهة هذا التهديد، يستطيع المعماريون في البلدان كل على حدة تطبيق الأفكار التصميمة الزخرفية بناء على الأنماط الثقافية الموجودة لديهم. وقد أثبت كرستوفر ألكسندر (Christopher Alexander)، وهو معماري مشهور بنظرياته عن التصميم، في دراساته عن لغة الأنماط أن هناك ارتباطاً بين الأنماط والذكريات الإنسانية. لذا فإن لغة الأنماط القائمة على الزخرفة تسهم فعلياً في المحافظة على الذاكرة الثقافية.

لإيجاد نمط أصيل في منطقة ليوا، قرّرت إجراء الزخرفة بصبّ ألواح الجص للواجهات مع طباعة عناصر سعف النخيل عليها. أجريت اختبارات لتحديد أكبر حجم للوح جصّ يمكن صبّه من دون أي تعزيز. وقد نجح صبّ لوح نموذجي طوله 90 سم وعرضه 40 سم وعمقه 7 سم، طُبعت عليه سعفة نخيل متكرّرة. غير أن هناك احتمالات لا نهاية لها لإنشاء ألواح زخرفية أصيلة من الجصّ وأوراق النخيل، للواجهات الخارجية والداخل. يقوم الاقتراح الحالي على استخدام ألواح جصّية كبيرة على الواجهات الخارجية للبناء المخطّط له. وقد استخدم البنّاؤون الإيرانيون تقليدياً ألواح الجصّ بمثابة حواجب في مبانيهم في إيران، وقطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة.





أجريت اختبارات للتحقّق إذا كان من الممكن إنشاء نمط باستخدام الجصّ وورقة نخيل جافّة

[أسفل الصفحة المقابلة من اليمين] محمد صالح علي نور، أستاذ عريش فذّ يعمل في العين منذ ما يقرب من ثلاثين سنة. وقد كانت مشاركته أساسية في الاختبارات





ألواح جصّ مصبوبة، يوليو
2009

[فوق] مع أوراق نخيل مثبتة

[الصفحة المقابلة] مع سعفة
نخيل مطبوعة





5

المصادر





العريش خطوة خطوة

تنشأ العمارة منذ آلاف السنين من دون معماريين. وفي حالة العمارة بسعف النخيل، كانت المباني تنشأ من قبل العائلات أو الحي بأكمله. لقد كان الأمر شأناً محلياً. يتعلّم فيه الأبناء من الآباء كيف ينشئون مباني العريش ويشاركون في عملية الإنشاء بطريقة تلائم أعمارهم. ثمة حاجة عادة إلى أربعة أشخاص لحبك الدعن. وتكون المواد الخام متوافرة بعد اكتمال جني الرطب، من أكتوبر فما يليه.



[الصفحة المقابلة] الحبل، مكوّن أساسي لنسج سعف العريش. يصنع تقليدياً من ألياف جذوع النخيل.

[هذه الصفحة] دعون من دون أوراق من صنع موظفي المحافظة على البيئة في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة

يشتمل إنشاء بناء تقليدي على الخطوات التالية:

1 قطع سعف النخيل الجافّة من الأشجار في الواحة

2 نقل سعف النخيل إلى الموقع أو مكان التصنيع

3 إعداد سعف النخيل (يمكن أن يتم ذلك في الواحة أيضاً):

- تشذيب النهايات المنحنية
- نزع أوراق النخيل عن السعف إذا لزم ذلك



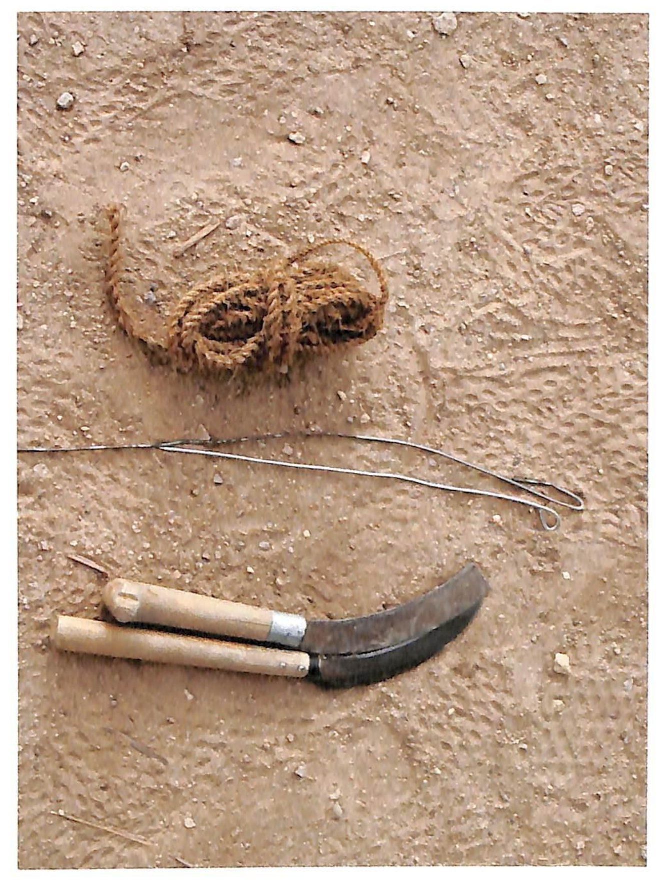






– تشكيل نهايات السعف بأحجام متماثلة. في العين أو عمان، تصنع الدعون بتقنية مختلفة عن تلك المستخدمة في ليوا على سبيل المثال. (العين: انظر ص 186؛ ليوا: انظر ص 187)

4 تنقع سعف النخيل في ماء غير مالح ليلة واحدة. وفي المناطق الصحراوية مثل ليوا، توضع سعف النخيل في الرمل لجعلها طرية









5 حياكة الدعن باستخدام الحبال وسعف النخيل المعدّة. يقوم بهذا العمل أربعة أشخاص على الأقل.

6 إعداد الهيكل الإنشائي (الهيكل الأولي)، تستخدم جذوع النخيل عادة أو أي خشب متوافر آخر

7 تغطية السقف

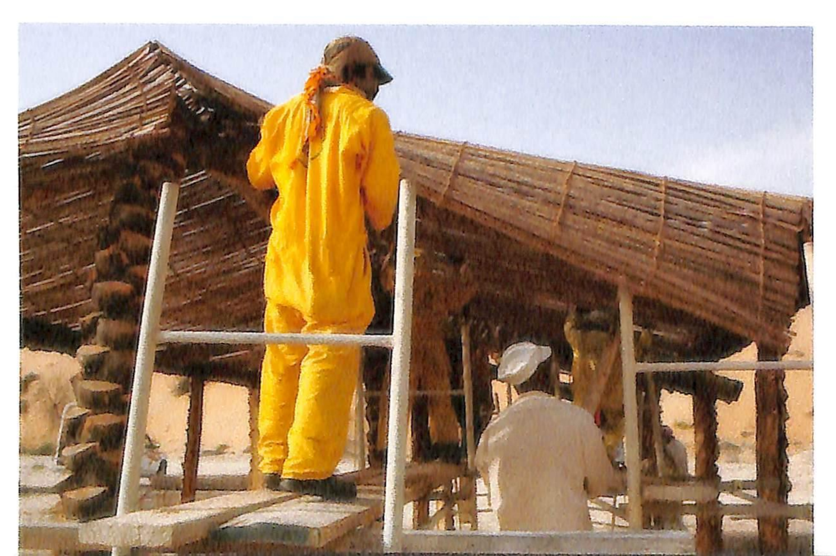












8 إنشاء جدران من طبقتين. في ليوا، يوضع الدعن بين الجدران لمنع الرمل من النفاذ إلى الداخل

9 تركيب الأبواب والملحقات

كانت مباني سعف النخيل تنشأ من دون رسوم، أو مسامير، أو عقود قانونية.









الخاتمة

تنهار الحضارات عندما يفقد الناس قدرتهم على الابتكار.

أرنولد توينبي، «دراسة للتاريخ» Arnold Toynbee, *A Study of History* (1934-61)

التغيير دائم. والتقدّم التكنولوجي الحديث يغيّر طريقة عملنا، وتفكيرنا، وتواصلنا بعضنا مع بعض. تميل الأمور إلى الحدوث على الفور وما علينا إلا أن نضغط على زرّ كي نحجز تذكرة طائرة أو نشتري بضاعة. غير أن الثقافات والحضارات تتطوّر عبر القرون. ومع أن الماضي قد لا يكون رائجاً، ونادراً ما يناقش موضوع أبطال التراث في مواقع الشبكات الاجتماعية، فإن من الواجب المحافظة على الثقافات المحلية، لا المساهمة في اندثارها.

لا نعرف مدى تأثير النمو الاقتصادي على الثقافات الأصلية في جميع أنحاء العالم. في البلدان التي شهدت نموّاً اقتصادياً سريعاً، مثل دولة الإمارات العربية المتحدة، ربما يحتاج مفهوم الثقافة المحلية إلى إعادة وضعه في سياقه، لا من حيث تكييف الماضي مع أنماط المعيشة الحديثة فحسب، وإنما أيضاً من أجل إيصال هذه الثقافة المحلية إلى المجتمع الوطني والدولي.

يمكن النظر في وضع الثقافة الأصلية في سياقها على مستويين. أحدهما ضمن الثقافة نفسها والآخر من منظور مجتمع دولي قادر على إنشاء المدن في البلدان النامية. ربما يعتبر أرباب العولمة أن فرصة إنشاء مدن وتطوّرات أخرى بسرعة حافز رائع للنموّ الاقتصادي. غير أنه في غياب الآليات التي تحفظ الثقافات الأصلية وتعزّزها، يميل كثير من المعماريين الدوليين إلى إنشاء نسخ مكررة عن مبانٍ في بلدانهم، بصرف النظر عن الاختلافات الجوهرية بين المناطق المُناخية، والهياكل الاجتماعية، والدين. هل يمكن أن يسهم ذلك في اندثار الثقافات الأصلية؟ نعم. ولا شك في أن هناك واجباً أخلاقياً يدعو المعماريين للتفكير بمزيد من العمق بشأن ما يقومون بإنشائه. كيف سيؤثّر على المجتمعات بعد عشر أو عشرين سنة؟ هل يعود التأثير عليها بالمنفعة أو يكون في غير مصلحتها على المدى الطويل؟ المباني التي تذكّر بالكثبان الرملية أو التي تشبه أجنحة الصقر تنفصل انفصالاً كبيراً عن سبعة آلاف سنة من التاريخ. وعلى المجتمع الدولي للمعماريين واجب بذل الجهد للوصول إلى الثقافات المحلية والتواصل معها بطريقة أفضل.

يجب أيضاً إيجاد طرق جديدة لضمان استمرار الحرف. الشعوب تبني منذ آلاف السنين من دون معماريين، أو رسوم، أو نماذج. إنهم يعرفون كيف يفعلون ذلك، وعلينا احترام مهاراتهم والمحافظة عليها بتطوير مشاريع إنشائية تشجّع التعاون وتمكّن الحرفيين والصنائعيين من المساهمة ذات المغزى فيها حيثما يمكن ذلك.

يشهد دعم التراث تغيّراً على المستوى المحلي أيضاً. وتحافظ العادات الاجتماعية على جوانب من التراث الثقافي غير المادي. غير أن تراث سعف النخيل مادي في جزء منه، لأن الناس عاشوا في بيوت حقيقية، وغير مادي في جزئه الآخر، من حيث أنه يشتمل على الحرف والتقاليد، والمهارات التي انتقلت من جيل إلى جيل من دون مدخلات خارجية. اليوم تضطلع الحكومة بدور مهم في المحافظة على تراث دولة الإمارات العربية المتحدة. غير أن عملية النقل التلقائي للمهارات قد ولّت: لم يعد الآباء يعلّمون أبناءهم صنعة العريش، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن العائلات تعيش في بيوت حديثة والأبناء يمضون أيامهم في المدرسة.

تكشف ملاحظاتي والمقابلات التي أجريتها أن أعمار من لا يزال لديهم مهارات صنعة العريش تتراوح بين 50 و70 سنة. لذا أقترح التدابير التالية للحؤول دون اختفاء هذه الحرفة:

الإبلاغ («العلاقات العامة التي تعنى بالعريش»): إبلاغ المجتمع المحلي والدولي على أوسع ما يمكن عن العمارة بسعف النخيل عن طريق المطبوعات، والمعرض، والمؤتمرات، والمحاضرات، بما في ذلك نشر روايات عن المشاريع التي تستعرض استخدام سعف النخيل في العمارة المعاصرة، مثل مشروع النموذج الأولي لأبنية العريش البيئية.

التعليم: نقل المهارات من جيل إلى الجيل الذي يليه بإدخال مقرّرات البناء بسعف النخيل وغيرها من الحرف في مناهج المدارس الوطنية على جميع المستويات.

المبادرات التي يقودها المجتمع: يقال إنك إذا ألهمت أماً تلهم المجتمع بأكمله. غالباً ما تحدث المبادرات الصغيرة التي يقودها المجتمع لحفظ التراث الثقافي نهضة لحرفة لا تستطيع السياسات تحقيقها.

البحث والتطوير: إنشاء مركز أبحاث لاستعراض جميع أوجه استخدام سعف النخيل في إنشاء المباني واستكشاف إمكانياتها اللانهائية في تصميم المنتجات وإنشاء صناعة على العموم.

وضع تراث سعف النخيل في دولة الإمارات العربية المتحدة

السن	أنثى	ذكر	
17-3			المجموعة المستهدفة بنقل حرفة العريش
29-18			المجموعة المستهدفة بنقل حرفة العريش
39-30			هناك بعض الاهتمام في تراث سعف النخيل من قبل طلاب الجامعات في مقررات الفنون والتصميم
49-40			عادة الأهل الذين كانوا يعيشون في بيوت العريش أو يذكرونها
59-50			
+69-60			المجموعة المستهدفة لنقل حرفة العريش — قاعدة مهارات حرفة العريش، ومعرفة كيفية إنشاء المباني كما أنهم عاشوا في بيوت العريش

نقل المهارات والمعرفة إلى الجيل الشاب

السكان الذين يتوفّون

الفئات العمرية التي تمثّل المعرفة العملية لتراث العريش. هذا تحليل غير رسمي يستند إلى مقابلات ذات صلة بتراث العريش أجريت في سنتي 2009 و2010 في دولة الإمارات العربية المتحدة.

الحرف: دعم وتوسيع القاعدة الحرفية القائمة وفي الوقت نفسه مقاومة التأثيرات المتضاربة من المصادر الخارجية.

التشريع: تنفيذ التشريعات واللوائح في التخطيط والبناء.

التحقّق من الثقافات الأصلية على المستوى العالمي: تشجيع الناس في جميع أنحاء العالم على تقدير ثقافاتهم الثمينة والفريدة واحترامها.

إذا لم نتصرّف بسرعة، وفقاً لخطوط هذه التوصيات، فإننا ربما نعاني من الاندثار التامّ للعريش، وهو يحتضر الآن مع تقدّم محترفيه في السنّ. ولم يعد هناك متسع من الوقت لتجنّب هذه المأساة.

الحواشي

1. [ص 12] هذه الخريطة إيضاح عام فحسب ولا تعكس الحدود السياسية الراهنة بالضرورة.
2. [ص 55] يستند هذا الجدول إلى كتاب د. فراوكه هيرد باي *From Trucial States to United Arab Emirates: A Society in Transition*, Dubai: Motivate Publishing, 2009. تشير د. هيرد باي إلى الإحصاء السكاني في سنة 1908 لتقديم أعداد الأشخاص داخل السكان القبليين في الإمارات. المرجع: J.G. Lorimer. *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*, vols. I (Historical) and II (Geographical and Statistical), Calcutta: Superintendent Government Printing, 1908–1915.
3. [ص 56] بناء على مقابلتين مع السيدة فاطمة خميس الفندي المزروعي، مهرجان ليوا للتمور، 26 يوليو 2009 و2 يوليو 2011.
4. [ص 74] المعلومات مأخوذة من G.R.D. King, *Abu Dhabi Islands Archaeological Survey, Season 1*: 1992, London: Trident Press, 1998, p. 47 ؛ ومقابلة مع عتيقة وسلامة المزروعي وأحمد غانم المزروعي، دلما، 3 نوفمبر 2009.
5. [ص 74] بعدما يجمع الرطب، تقطع سعف النخيل اليابسة، نحو عشر في العادة: هذه هي العريش. وتنزع عن الأغصان التي كانت تحمل الرطب أي مواد فائضة، وينزع أيضاً أي ليف متدهور عن الجذع. يتم هذا «التنظيف» السنوي حوالي شهر أكتوبر.
6. [ص 74] معلومات تم الحصول عليها من عتيقة وسلامة المزروعي وأحمد غانم المزروعي، دلما، 3 سبتمبر 2009.
7. [ص 76] Lorimer, Gazetteer مصدر موثوق للمعلومات الديمغرافية. وغالباً ما تستشهد هيرد باي بهذا العمل في كتابها *From Trucial States*.
8. [ص 78] بناء على مقابلة مع حسناء الحمادي، 2 نوفمبر 2009.
9. [ص 84] Frances LaBonte, *The Arabian Date Palm*. Dubai: Jerboa Books, 2006, p. 19.
10. [ص 93] المعلومات عن قرية البثنة مستمدّة من مقابلات مع راشد اليماحي وأخته سليمة وبشاير الحفيتي، 21 سبتمبر 2009.
11. [ص 104] المعلومات مأخوذة من حكومة رأس الخيمة، إدارة الآثار والمتاحف.
12. [ص 104] المعلومات عن قبيلة الزعابي مستمدّة من مقابلة مع السيد إ الزعابي، 11 أكتوبر 2009.
13. [ص 104] بناء على معلومات قدّمتها منال الصرومي، شِمل، 6 أكتوبر 2009.
14. [ص 110] جميع الخرائط والرسوم والنص تستند إلى مقابلة مع علياء محمد الغفلي، مديرة متحف أم القيوين، 8 أكتوبر 2009.
15. [ص 112] المعلومات في هذا القسم مستمدّة من *The Fortress: History and Heritage*, Ajman: Ajman Museum, 1998, p. 14، ووثائق أخرى محفوظة في متحف عجمان.
16. [ص 116] جميع الخرائط والرسوم والنص تستند إلى مقابلة مع السيد إبراهيم محمد سالم العوضي، متحف عجمان، 26 أكتوبر 2009، مع الشكر للمترجمة الدكتورة سلمى قريشي.
17. [ص 116] استناداً إلى معلومات قدّمها السيد إبراهيم العوضي.
18. [ص 120] انظر *Archaeological Surveys in Sharjah Emirate: First Report*, Sharjah: Directorate of Archaeology, Department of Culture and Information, 1983.
19. [ص 121] تود المؤلفة الاعتراف بمساعدة عيسى عباس حسين يوسف، المشرف على المسح الأثري والحفريات في موقع مليحة، من مديرية الآثار في الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام.
20. [ص 124] يستند هذا الفصل إلى مقابلات مع السيدة سلمى راشد المسكري، والسيد خليفة مبارك الرفيسا الكتبي، والسيد عبد العزيز عبد الرحمن المسلم، مدير إدارة التراث والشؤون الثقافية في الشارقة.
21. [ص 126] Heard-Bey, From Trucial States, chapter seven ('Dubai—Example of a City State on the Trucial Coast'), section one ('Dubai before the 1950s').
22. [ص 128] رسالة إلكترونية شخصية إلى المؤلفة، 13 مايو 2010.
23. [ص 130] رسم عائشة ياسيف السويدي، 23 مارس 2010.
24. [ص 137] الصور الفوتوغرافية في هذا القسم التقطت في الأعوام 2011-2004.

المراجع

Almanach de Gotha. Gotha: Justus Perthes, 1938.

Al Qassimi, Sultan bin Mohammad. *The Myth of Arab Piracy in the Gulf*. London: Routledge, 1986.

Al Qassimi, Sultan bin Mohammad (ed.). *The Gulf in Historic Maps*: 1478–1861, second edition. Leicester: Streamline Press, 1999.

Al Qassimi, Sultan bin Mohammad. *Power Struggles and Trade in the Gulf: 1620-1820*. London: Forest Row, 1999.

Al Qassimi, Sultan bin Mohammad. *Deep-Seated Malice*. London: Saqi Books, 2006.

Archaeological Surveys in Sharjah Emirate. Sharjah: Directorate of Archaeology, Department of Culture and Information, 1983–2007.

Balbi, Gasparo. *Viaggio dell'Indie Orientali*. Venice: Camillo Borgominieri, 1590.

Coles, Anne and Peter Jackson. *Windtower: Houses of the Bastaki*. London: Stacey International, 2007.

De Braganca Pereira. A. B. *Arquivo Portugues Oriental*, t. IV, vol. III, part 1. Bastora, 1937.

The Fortress: History and Heritage. Ajman: Ajman Museum, 1998.

Heard-Bey, Frauke. *From Tribe to State. Political Structure in Five States of the GCC*, vol. II. CRiSSMA (Centro di Ricerche sul Sistema Sud e il Mediterraneo Allargato) Working Papers 15. Milan: ISU Università Cattolica, 2008.

Heard-Bey, Frauke. *From Trucial States to United Arab Emirates: A Society in Transition*. Dubai: Motivate Publishing, 2009.

Jacobs, Jane. *The Death and Life of Great American Cities*. New York: Random House, 1961.

King, G.R.D. *Abu Dhabi Islands Archaeological Survey: Season 1*. London: Trident Press, 1998.

LaBonte, Frances. *The Arabian Date Palm*. Dubai: Jerboa Books, 2006.

Lorimer, J.G. *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*, vols. I (Historical) and II (Geographical and Statistical). Calcutta: Superintendent Government Printing, 1908–1915.

Toynbee, Arnold J. *A Study of History*. Oxford: Oxford University Press, 1934–1961.

The World Book Encyclopedia, vol. IV. Chicago: World Book, 2006.

شكر وتقدير

أود أن أشكر الله، خالق كل شيء، على منح الناس روح الابتكار.

إنني ممتنّة لوالدتي، ووالدي الراحل، والأب كريستوفر كوزاكيوكس، والعائلة، والأصدقاء على دعمهم المتواصل.

ما كان إعداد هذا الكتاب ممكناً لولا عون ومساعدة عدد كبير من الأشخاص. قبل كل شيء، أود أن أنوّه بثلاثة أشخاص: بيتر شيهان من هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة (2)، والدكتور عبد الوهاب زايد من جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر، ولوكاس ديتريش من دار تايمس وهدسون.

لقد تأثّرت كثيراً بالاهتمام بموضوع العريش الذي أبداه أناس من جميع مستويات المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة، من الشيوخ إلى مزارعي النخيل. لفهم شعب الإمارات، على المرء أن ينظر في تعلّقه، بالإضافة إلى العرب الآخرين، بالنخيل على العموم.

وأود مخلصة أن أشكر لسموّ الشيخ محمد بن زايد بن سلطان آل نهيان، ولي عهد أبوظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلّحة في دولة الإمارات العربية المتحدة، على تشجيعه الشخصي لنشر هذا الكتاب، ولسموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات العربية المتحدة، لمساعدته السخية، ولجائزة خليفة الدولية لنخيل التمر لتمكين هذا الكتاب من أن يرى النور. كما أشكر لسموّ الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، ممثّل الحاكم في المنطقة الغربية، ولسلطان بن خلفان الرميثي على دعمهما الأدبي، ولأصدقائي من واحة ليوا الذين دعموني طوال العملية بأكملها. وأنا ممتنّة جداً أيضاً لسيف سعيد فراس المزروعي من بلدية ليوا، والأخوين حسن سهيل محمد المزروعي (3) ومحمد سهيل المزروعي، وهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة لتكليفي بإجراء البحث الأصلي الذي تمّ توسيعه.

تستند المعلومات المجموعة في هذا الكتاب إلى حدّ كبير إلى التاريخ الشفهي وإلى عدد كبير من المقابلات.

أود أن أعبّر عن امتناني لأساتيذ العريش في إمارة أبوظبي، أي موظفي هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة للمحافظة على البيئة في العين وليوا، وتحديداً محمد صالح علي نور (5)، ومراد علي كمال البلوشي (6)، وعبد الرحمن، وبارامشوران بيلا موهانان (18)، وغنغا غيري (17)، ونعيم إقبال محمد عمر (14)، وبابو لال (15)، وأحمد تاج محمد (11)، وروبن راي، ومحمد إبراهيم موسى (12). وموظفي المحافظة على البيئة في ليوا عبد السلام غاسمالي رافانبود، وأفضل سالم محبوب خان، وبهرام باهي جان، بالإضافة إلى أستاذات العريش (النساء من قبيلة المزروعي اللواتي ساعدن في إنشاء بيت العريش في ليوا)، وتحديداً فاطمة خميس الفندي المزروعي (القائدة)، وميثاء أحمد المزروعي، وحمدة أحمد المزروعي (9)، وحمدة عبد الله المزروعي، وهالة عبد الله المزروعي، وشرينا بطي المزروعي، وسلمى راشد المزروعي.

وأشكر أيضاً لحميد محمد هامل القبيسي، وهو غوّاص لؤلؤ مقيم في ليوا له من العمر مئة عام (8)، وفهد صالح محمد المزروعي (28)، ومحمد أحمد محمد الفكي، ومحمد المزروعي من بلدية ليوا (27)، والشركات التي استخدمتها بلدية ليوا للمساعدة في الإنشاء، لا سيما شركة الظفرة للري، ورياض أحمد شهيد، وشاندرا بهادور غودار، وأوما شنككار براساد، وهانمانثو ريباني ريباني، وسختا جان حاجي موراد، وسكندر براساد جاسوال، وراب نواز مير نواز، ورابندرا باساد موتاردا محمد أحمد.

وأتقدم أيضاً بالشكر لمن يلي:

في إمارة أبوظبي: أحمد غانم المزروعي، مدير مركز الخدمات الحكومية المتكاملة (تمّ) في دلما (29)، وعلي ملك عباسي، استشاري جيولوجي في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، وعتيقة













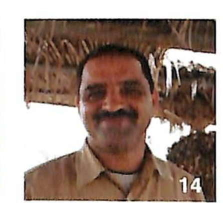

















المزروعي، دلما، وفتحي محمد عبد الله، عالم آثار ومسؤول في الحق من هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دلما، ود. فرواكه هيرد باي، المؤرّخة السياسية، وخلفان محمد الظاهري، متحف العين الوطني (26)، وموظفو هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة الآخرين، بمن فيهم د. مارك بيتش، رئيس قسم التضاريس الثقافية، ومحمد الشحي، مدير النشر، ومحمد عامر النيادي، مدير إدارة البيئة التاريخية، ومحمد السيد، متحف العين الوطني، ونبيل عبيد، فني في متحف العين الوطني، ود. محمد يعقوب، أستاذ مشارك في جامعة الإمارات العين، والمركز الوطني للبحوث والوثائق، أبوظبي، وسلمى سعيد المزروعي، دلما/ ومكتبة زايد، العين.







في حتّا: سالم البدواوي، دليل قرية حتّا التراثية (32)، وراشد محمد بوخش، مدير إدارة المشاريع العامة في بلدية دبي، وخالد علي بن غارب، اللجنة المنظمة لمهرجان دبي للتسوّق، وناصر الهاشمي، دليل في قرية حتّا التراثية (32).





في إمارة الفجيرة: صالح علي، كبير علماء الآثار في هيئة الفجيرة للسياحة والآثار، وسعيد عبد الله السماحي، مدير إدارة التراث والآثار، حكومة الفجيرة، وسالم محمد الزحمي، مدير مكتب ولي العهد (الديوان الأميري) (35)، والأختان سليمة وبشاير الحفيتي المقيمتان في قرية البثنة (25)، وراشد اليماحي، مقيم في قرية البثنة (36).



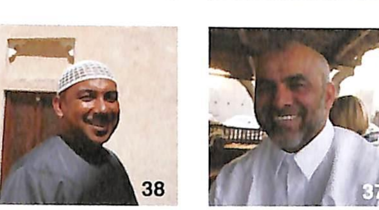


في إمارة رأس الخيمة: خميس رشيد حسن، مدير النادي الثقافي في منطقة النخيل في رأس الخيمة، وكريستيان فِلد وإمكه مولرنغ، عالما آثار، دائرة الآثار والمتاحف، حكومة رأس الخيمة (33)، وعبد الله الصرومي، مستشار التراث للشيخ سعود بن صقر القاسمي، ولي العهد ونائب حاكم رأس الخيمة (34)، ومنا الصرومي، مقيمة في منطقة شِمل في رأس الخيمة، وإبراهيم الزعابي، مقيم سابق في قرية الحمراء.





في إمارة أم القيوين: آمنة حسن العلي، مقيمة في فلج المعلا، وحسن علي حسن العلي (4)، مقيم في فلج المعلا، والشيخ خالد بن حميد المعلا، المدير العام لدائرة الآثار والتراث في حكومة أم القيوين (20)، وعلياء محمد الغفلي، مديرة متحف أم القيوين، دائرة الآثار والتراث في حكومة أم القيوين (21).





في إمارة عجمان: د. سلمى قريشي، متحف عجمان (22)، وعلي محمد المطروشي، مدير متحف عجمان، وإبراهيم محمد صالح، متحف عجمان (7).

في إمارة الشارقة: علي إبراهيم العامري، المدير العام لدارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، وعبد العزيز عبد الرحمن المسلم، مدير إدارة التراث والشؤون الثقافية (10)، وميادي عزيز، مصوّر فوتوغرافي، مديرية التراث، وبيتر جاكسون، معماري، مكتب صاحب السموّ الحاكم، حكومة الشارقة، وبشرى سعيد، مكتبية تراث في مديرية التراث، وأمينة أحمد الشيب، إدارة الفعاليات والمعارض في دائرة الثقافة والإعلام، وخيل شاهي، القرية التراثية في الشارقة (13)، وعيسى عباس حسين يوسف، عالم آثار، موقع مليحة، دائرة الثقافة والإعلام (31)، ومبارك راشد الرفيسا، الحمرية القديمة (16)، ومحمد جافا ودات كريم وخالد العامري، بيت الألعاب التقليدية، القرية التراثية في الشارقة (19)، وسلمى راشد المسكري، مقيمة في قرية الحمرية (23)، وخليفة مبارك الرفيسا وعائلته، مقيمون في قرية الحمرية (24).

في إمارة دبي: فاطمة عيسى البلوشي، القرية التراثية في دبي، وراشد محمد بوخش، مدير إدارة المشاريع العامة في بلدية دبي، وأحمد محمد بوجسيم، مجلس البستكية (37).

د. آن كولز، جغرافية، جامعة أكسفورد، ود. رونالد هوكر، أستاذ مشارك، قسم الفنون والتصميم، جامعة زايد، وعائشة ياسيف السويدي، ربة منزل، الجميرة، دبي.

تبيّن أن الوصول إلى موادّ الأرشيف على درجة عالية من الأهمية وأنا ممتنّة جداً لكل من سمح لي باستخدام أرشيف الصور الفوتوغرافية لإجراء الأبحاث وفي هذا الكتاب: د. كريس مورتون، رئيس قسم مجموعات الصور الفوتوغرافية والمخطوطات، متحف بيت ريفرز، جامعة أكسفورد؛ وجوان بورمان، مساعدة في الأرشيف، أرشيف بي بي، جامعة وارويك، المملكة المتحدة؛ وعلي إبراهيم العامري، المدير العام لدارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة، والمركز الوطني والبحوث، أبوظبي، وفوزية حمدان الجنيبي، شركة أبوظبي للعمليات البترولية البرية (أدكو)، وعبد العزيز المسلم، مدير إدارة التراث والشؤون الثقافية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، وبيتر أوكونل، بلو سكاي، وجيمي أوين، مكتبة الصور في الجمعية الجغرافية الملكية، لندن، السجل الوطني الإنجليزي للتراث والآثار، والمجموعات الخاصة لبيتر شيهان، ود. مارك بيتش، وبيتر جاكسون، ود. آن كولز.

أخيراً، لا بد لي أن أشكر للمصحّحين روزماري وطوم لانغلي، وسوزان دينور، وإيوا كاسيجويسكا، وأندو وير، وكارلا ميلور، وليندا هِلم، وفريق تايمس وهدسون الرائع.

قائمة بأسماء أصحاب حقوق الصور

جميع الصور © ساندرا بيسيك، ما لم يذكر خلاف ذلك.

ص 11، 89: بإذن من دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة. الصورة الأصلية من *Arquivo Portugues Oriental*, t. IV, vol. III, part 1, 1937.

12: © الموقع الإلكتروني NASA Visible Earth؛ تقدمة د. مارك بيتش.

14: © المركز الوطني للوثائق والبحوث، أبوظبي.

18، 20–28، 29 (تحت)، 41، 46، 47، 57، 59، 61 (فوق)، 72، 128 (تحت): © متحف بيت ريفرز، أكسفورد. مجموعة وِلفرد شِسيغر. مراجع الفهرسة: 2004,130,22025,1 (ص 18)؛ 2004,130,22028,1 (ص 20–21)؛ 2004,130,22012,1 (ص 22–23)؛ 2004,130,17389,1 (ص 24)؛ 2004,130,22808,1 (ص 25)؛ 2004,130,17430,1 (ص 25–26)؛ 2004,130,17432,1 (ص 28)؛ 2004,130,22810,1 (ص 29، تحت)؛ 2004,130,17561,1 (ص 41)؛ 2004,130,17575,1 (ص 46، فوق)؛ 2004,130,22838,1 (ص 46، تحت)؛ 2004,130,22849,1 (ص 47)؛ 2004,130,22026,1 (ص 57)؛ 2004,130,22015,1 (ص 59)؛ 2004,130,22013,1 (61، فوق)؛ 2004,130,17647,1 (ص 72)؛ 2004,130,17585,1 (ص 128، تحت).

19، 30–31: © أرشيف شركة بي بي.

29 (فوق): بإذن من متحف العين الوطني.

32، 33، 37، 71، 73: © شركة أبوظبي للعمليات البترولية البرية (أدكو)، أبوظبي.

34–35: © الجمعية الجغرافية الملكية، لندن.

36: بإذن من الجمعية الجغرافية الملكية، لندن. الصورة التقطت بواسطة ج. م. ليز.

38–39، 128 (فوق): د. آن كولز.

40: بإذن من أرشيف قلعة الحصن، الشارقة.

42: © أرشيف بريتيش إيروايز.

43–45: © السجل الوطني للآثار، أرشيف التراث الإنجليزي.

58: © فاطمة خميس الفندي المزروعي.

64: © بيتر شيهان، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، العين.

65: © بلو سكاي إنترناشيونال ليمتد؛ تقدمة د. مارك بيتش.

76: © د. مارك بيتش، عالم آثار في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، وإليزابيت شِفرد.

84، 96: الرسوم © بياتريس دي كاردي؛ تقدمة دائرة الآثار والمتاحف، حكومة رأس الخيمة.

98، 122: تقدمة دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة.

120 (تحت): تقدمة متحف الشارقة للآثار.

123 (فوق): © أرشيف بريتيش إيروايز؛ تقدمة دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة.

123 (تحت): © أرشيف بريتيش إيروايز؛ تقدمة دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، الشارقة.

129 (فوق): الرسم: © د. فراوكه هيرد باي.



